نبي الرحمة

صلى الله عليه وسلم

موقع المستنير
almostaneer.com
Kuwait

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي الحمد له عز وجل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين المباركين...

وبعد

كثر في زماننا الظلم والقتل والمصائب، وقلّ التراحم بين البشر حتى كادت البشرية تفتقد معاني الرحمة، فما أحوجنا إلى استلهام مثلٍ أعلى فيه معاني الرحمة واللين ونبذ العنف والمعاملة الحسنة وكل ذلك تمثل في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ، مصداقا لقوله عزّ وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وأردنا في هذه الورقات أن ننهل من أخبار هذه الرحمة المتجلية في حياة سيدنا رسول الله ﷺ، لتكون منهج حياة لكل مسلمٍ ومسلمةٍ اقتداءاً بسنته وهو المبعوث رحمة للعالمين وقد سمّاه الله تعالى رؤوفاً رحيماً.

وقد اطلعنا على كتاب الشيخ المحدث خليل بن إبراهيم ملّا خاطر العزّامي المتوفى سنة ١٤٤٥ هجرية رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، كتابه المسمى «الرحمة المهداة ﷺ» ووجدناه كتاباً عظيماً

نافعاً قل نظيره، بذل فيه الشيخ جهداً كبيراً، جعله الله تعالى في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال وبنون.

وكان إعتمادنا على هذا السِّفْر العظيم إعتماداً كلّياً، فالناظر فيه لا يحتاج لغيره، وقد إجتزأنا منه جزءاً بسيطاً مختصراً يناسب نشره بين الناس لينتفعوا به، ويكون أجر هذا العمل في ميزان الشيخ رحمه الله تعالى، سائلين المولى عز وجل أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، نافعاً للأمة.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباب الأول
رحمته ﷺ للعالمين

لقد جعل الله عز وجل رسولَه المصطفى الكريمَ ﷺ رحمةً للعالمين - ولم يجعل هذا لأحد من الخلق سواه - وفي هذا دلالة على علو قدره ﷺ، ورفعة مكانته عند الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]

فكان مبعثه ﷺ رحمةً عامةً شاملةً، ورحمةً خاصة أيضاً.

أ - لقد جعل الله جل شأنه كلمة (رحمة) نكرةً، لتكون عامةً شاملةً، فهي عامةٌ في أبعادها، شاملةٌ في جزئياتها، لاحقةٌ لكل من يستحقها ممن هو أهل لها من المخلوقات.

كما أن هذه الكلمة المباركة جاءت بعد نفي، والنكرة بعد النفي تفيد العموم أيضاً.

ب - إن هذا النفي ﴿وَمَآ﴾ جاء بعده حصر ﴿إِلَّا﴾ والحصرُ بعد النفي يفيد الاستغراق، فيكون ما بعد النفي مستغرقاً فيما بعد الحصر أيضاً. فتكون الرحمة مستغرقة كلَّ بعثته ﷺ. والله تعالى أعلم.

ج - هذه الرحمة المهداة هي من الله جل شأنه، وليست من صنع البشر، ولا دخل للبشر فيها، فلم ينلها ﷺ بمجاهدة، ولا بتدريب، وإنما هي هبةٌ من الله تعالى جعلها في رسوله الكريم ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩]

د - هذه الرحمة التي اتصف بها النبي الحبيب ﷺ ليست مختصة في شخص معين، أو في جماعة معينة، أو في خَلْق معين، أو لقوم معينين،... لكنها في كل المجالات؛ فكما هي في الدِّين والدنيا، هي سببٌ للسعادة في الدارين.

هـ - إن هذه الرحمة شاملة لكل الخلق؛ إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، كبيرهم وصغيرهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: أولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهو: أن الله أرسل نبيَّه محمداً ﷺ رحمةً لجميع العالَم؛ مؤمنهم وكافرهم.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧] يخبر الله تعالى أنه جعل محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، أي أرسله رحمةً لهم كلهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ، وشكر هذه النعمةَ: سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردَّها وجحدها خسر الدنيا والآخرة،...الخ.

ز - لقد عدّى الله تعالى الإرسال باللام، فقال الله جل شأنه: ﴿رَحْمَةً

لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ولم يعدِّها بالباء، فلم يقل: بالعالمين، فما هو السرُّ في ذلك؟

إن اللام - من جملة معانيها - تفيد الملك - كما قال النحاة - كما تفيد شبه الملك، والذي يُعبَّر عنه بالاختصاص، ومنه ما يُعبَّر عنه باسم الاستحقاق، فكأن الله عز وجل جعل نبيَّه الكريم ﷺ رحمة، وجعلها ملكاً للعالَمين، مختصين بها، ومستحقين لها، يعني: شمولية هذه الرحمة للعالَمين، فهي ثابتة ثبوت الملك للمالك، فلا تنفك، وإن كان المقصود ثبوت المنفعة والمردود يعني منفعة الرحمة راجعة لعموم العالَمين، فهي إذاً عامّةٌ شاملةٌ مستحقَّةٌ للعالمين جميعاً، والله تعالى أعلم.

بخلاف الباء فإنها لا تفيد ذلك المعنى، إنما تفيد - من جملة معانيها كما يقول النحاة - التبعيض، ومعنى هذا لو كانت (بالعالمين) لكانت لبعض العالمين - وهم المؤمنون فقط، ولا تشمل غيرهم - ولا شك فإن شمولها للجميع يتناسب مع سعة رحمة الله تعالى، وكرمه وجوده، والله تعالى أعلم.

ط - هذه الرحمةُ: شاملةٌ في دعوتها، واسعةٌ في فروعها، عامَّةٌ في تعلقاتها، بارزة في مظهرها، مفردة في منشئها،... لكنها مرتبطة بربها جل شأنه الذي خلقها، وأرسلها، لهذا قال تعالى في منشئها: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ وأما شمولها واتساعها وعمومها فهذا واضح من قوله تعالى: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

ي - إن الله سبحانه وتعالى جعل صفيه وحبيبه الكريم ﷺ قاسماً لما يعطيه الله تعالى.

فعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم،... ». متفق عليه. وقد ورد عن غيره أيضاً

ومن الملاحظ أن قوله ﷺ: «الله المعطي وأنا القاسم» قد تنوع سببه، فجاء هنا في التفقه في الدِّين، وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه - عندهما - في تسمية غلام، بينما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - عند البخاري - في المال والغنائم.

فالله تعالى هو المعطي حقيقةً، وهو الراحمُ حقيقةً، والنبيُّ الرحيمُ ﷺ هو الذي يَقسم، ويضع حيث يُؤمر «إنما أنا قاسم، أضع حيث أُمرت». رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، والله تعالى أعلم.

ك - هذا الترابط بين كونه ﷺ رحمة مهداة من الله تعالى وكونه ﷺ على خُلُق عظيم، وكونه ﷺ قدوة حسنة. جعله ﷺ قد حاز على الفضائل كلها، والمراتب العالية، فماذا بقي بعد ذلك!!

ل - إن حسن معاملة المصطفى الكريم ﷺ للكفار المكابرين والأعداء المعاندين في عصره، وما اتصف به من الرحمة الكاملة التامة، والأخلاق العالية، والصفات السامية،... كل ذلك أثَّر تأثيراً كبيراً فيهم، فجعلهم ينقادون مرغمين من داخلهم، فأسلمت جميع تلك القبائل.

الباب الثاني

رحمته ﷺ بأمته في الدنيا

لقد أخبرنا الله تعالى أن رسوله المصطفى الكريم ﷺ رحمةٌ للمؤمنين، وأنه ﷺ رؤوفٌ رحيمٌ بهم، وهذه الصفة لا رحمةَ فوقها.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة:٦١]

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]

لقد ظهرت تلك الرحمة المهداة بمظاهر كثيرة على هذه الأمة، ويصعب حصرُ تلك المظاهر لكثرتها.

فمن تلك المظاهر:

١ - سؤاله ﷺ المتكرر لأمته، ألَّا يعذِّبها الله تعالى بما عذَّب به الأمم السابقة، من السِّنين (الجدب) والجوع، والغرق، واستباحة العدو لها،...الخ.

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي

الأرض،... الحديث، وفيه: وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلِكَها بِسَنَةٍ عامَّةٍ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتَهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاءً لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسَنَةٍ عامَّةٍ، وأن لا أُسَلِّطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضَتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها - أو قال: مَنْ بَيْنَ أقطارها -...». الحديث، رواه مسلم. بيضتهم: أي لا يهلكهم جميعاً.

٢ - إلحاحه ﷺ المستمر على ربه تعالى، وسؤاله المتكرر لربه عز شأنه النجاةَ لأمته، وأن يغفر الله جل شأنه لهم ويرحمهم، ولهذا كثر قولُه ﷺ: «اللّهم أمتي أمتي» وقولُه ﷺ: «اللّهم اغفر لأمتي» مع تفويضه ﷺ الدائم أمرَ نفسه لربه تعالى، حيث لم يرد أنه ﷺ سأل ربَّه جل وعز - في الساعات الحرجة - نجاةَ نفسه فقط، وغفل عن أمته -بأبي هو وأمي- بل الواردُ المستمر العكسُ، حيث يسأل ربه تعالى أمرَ أمته، ولا يذكر نفسه إلا نادراً؛ ليقتدوا به.

٣ - ادخاره ﷺ دعوتَه المجابةَ لتكون شفاعةً لأمته يوم القيامة - كما تكون لغيرها - يوم يرغب إليه ﷺ جميعُ الخلق؛ بما فيهم الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام.

فعن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه - في قصة قراءة القرآن على سبعة أحرف - وفيه قوله ﷺ: «يا أُبَي، أُرسل إلي: أن اقرأ القرآن على حرف، فرددتُ

إليه: أن هوِّن على أمتي، فردَّ إليَّ الثانيةَ: اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه: أن هوِّن على أمتي، فردَّ إليَّ الثالثةَ: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردَّةٍ رددتُكها مسألةٌ تسألُنيها، فقلت: اللّٰهم اغفر لأمتي، اللّٰهم اغفر لأمتي، وأخرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغب إليَّ الخلقُ كلهم، حتى إبراهيم ﷺ». رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة،...». الحديث، متفق عليه.

٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: اشتراطُه على ربه عز وجل؛ أن يجعل كلَّ دعوة دعا بها على أحد من أمته - وهو ليس لها بأهل - وكذا إذا سبَّ أحداً أو جلده أو آذاه... وهو لا يستحق ذلك في الباطن حقيقة، لكنه يستحقُّها في الظاهر: أن يجعلها الله تعالى له زكاةً ورحمةً وقربةً، يقرِّبه الله سبحانه وتعالى بها إليه يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللّٰهم إنما أنا بشر، وإني اشترطتُ على ربي عز وجل».

وفي رواية: «اللّٰهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخلِفَنيه، فإنما أنا بشرٌ، فأي المؤمنين آذيتُه، شتمتُه، لعنتُه، جلدته [زاد في رواية: دعوتُ عليه من أمتي بدعوة، ليس لها بأهل] فاجعلها له صلاةً، وزكاةً [ورحمةً] وقربةً تُقرِّبُه بها إليك يوم القيامة». متفق عليه.

ورواه مسلم من حديث عائشة وجابر وأنس رضي الله تعالى عنهم. زاد أحمد وأبو داود والطبراني من حديث سلمان رضي الله تعالى عنه: «...وإنما بعثتني رحمةً للعالمين...».

٥ - ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة: ما كان يكنه قلبُه الشريف من حرص على أمته، وعلى هدايتهم ونجاتهم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدوابُّ والفراشُ يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم، وأنتم تَقَحَّمون فيه». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٦ - ومن مظاهر تلك الرحمة، أنه لم يترك شيئاً مما تحتاج إليه الأمة مما فيه صلاحها، في دنياها أو أخراها، إلا بيَّنَه ﷺ أوضحَ بيان وأجمله، سواء كان ذلك مما هُمْ مدركوه، أو مما لم يدركوه، لكنه ﷺ بيَّنه لهم.

فعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، وقيل له: قد علَّمكم نبيُّكم ﷺ كلَّ شيءٍ، حتى الخِراءَةَ. فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلةَ لغائط أو بولٍ، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلَّ من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم. رواه مسلم. برجيع: أي بروث.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: تركَنا رسول الله ﷺ وما طائرٌ يطير بجناحيه إلا عندنا منه علمٌ. رواه الطيالسي وأحمد والبزار والطبراني وزاد في روايته: فقال

ﷺ: «ما بقي شيءٌ يقَرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم». ورجالُ البزار والطبراني رجالُ الصحيح.

٧ - ومن مظاهر تلك الرحمة: أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الدنيا والآخرة. وجعل الله سبحانه وتعالى أزواجه رضي الله عنهن أمهاتٍ للمؤمنين.

فقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦]

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «...أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم». متفق عليه.

وفي رواية لهما (أي البخاري ومسلم) عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة». وهذا لفظ البخاري.

٨ - ومن مظاهر تلك الرحمة: أنه ﷺ لم يأمر أمته بما يشق عليها. بل لو خشي ﷺ أنه لو داوم هو على أمرٍ ما أو أمرها به؛ فإن الله تعالى يوجبه عليها، ولا تطيق ذلك بعدئذ؛ فإنه لا يأمرها به، بل يترك هو ذلك الفعلَ خشية أن يُفرض عليها، ولا تطيقه بعدئذ

كقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». الحديث، متفق عليه. وله ألفاظ متعددة.

وقد يترك المداومة على الأمر مخافة أن يُفرض على الأمة، كما في تركه ﷺ صلاة التراويح في المسجد، خشية أن تُفرض على الأمة ولا تطيق ذلك.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها - في قصة عدم خروجه ﷺ من البيت بعد صلاته ثلاثة أيام أو أربعة في المسجد - وفيه: فقال ﷺ: «أمّا بعد، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شأنُكُم الليلةَ، ولكني خشيتُ أن تفرض عليكم صلاةُ الليل، فتعجزوا عنها». متفق عليه.

٩ - ومن مظاهر تلك الرحمة أيضاً: أمره ﷺ من وَلِي شيئاً من أمور المسلمين بالرفق بهم.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللّهم من ولي مِن أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم؛ فاشقق عليه. ومَن ولي مِن أمر أمتي شيئاً فرفق بهم؛ فارفق به». رواه مسلم.

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أَمَّ الناسَ فليوجز، فإن مِن ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة». متفق عليه.

١٠ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة: أنه ﷺ لم يَدْعُ على أمته ومخالفيه بالهلاك العام والدائم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «إني لم أُبْعَث لعّاناً، وإنما بُعِثتُ رحمة». رواه مسلم.

وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قدم طُفيلُ بنُ عَمْرٍو الدوسيُّ وأصحابُه على

النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عَصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دَوسٌ [فظن الناس أنه يدعو عليهم] فقال: «اللّهم اهد دَوساً وائتِ بها». متفق عليه.

١١ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة: أمرُه ﷺ بالاعتدال والتيسير، ونهيُه عن الغلو والتطرف.

ولهذا كثر عنه ﷺ قولُه: «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قلَّ». متفق عليه.

وهذا الحديث في الصلاة والصيام،... وغيرها.

١٢ - ومن مظاهر رحمة الله تعالى بهذه الأمة: أن جعل الله تعالى حياة نبيه وحبيبه الكريم ﷺ كلها خيراً ورحمة لأمته، حتى بعد وفاته ﷺ.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يُبلّغوني عن أمتي السلام». أخرجه أحمد والنسائي والطبراني في الكبير.

وقال ﷺ: «حياتي خير لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ الله لكم». رواه البزار، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وجوَّد الحافظ العراقي إسناده، وصححه السيوطي والقسطلاني والخفاجي وملا علي القاري.

١٣ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة: أن الله تعالى سيرضي نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ فيها، ولا يسوؤه.

قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥]

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، أن النبيَّ ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ...﴾ [إبراهيم:٣٦] الآية. وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة:١١٨]

فرفع يديه وقال: «اللّهم أمتي، أمتي» وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وربك أعلم - فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد، فقل: إنّا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك». رواه مسلم.

١٤ - ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة بهذه الأمة: كثرة شفاعاته ﷺ فيها، حتى بلغت ثلاث عشرة شفاعة. كما ستذكر في الباب الأخير.

١٥ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة: كثرة دعواته ﷺ لها، وقد جاءت دعواتُه ﷺ على ضربين

- دعاء عام لأمته، بالمغفرة والرحمة والنجاة ودخول الجنة،... في دعائه ﷺ ألّا يهلكهم الله تعالى بالسنين والغرق والجوع، وألّا يسلط عليها عدوّاً من غيرها فيستبيح بيضتها.

- دعاء لأفراد أو لجماعات منها، كدعائه ﷺ للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، وللمحلقين في الحج أو العمرة، وللمرأة التي تقوم من الليل فتوقظ زوجها للعبادة معها.

١٦ – ومن مظاهر تلك الرحمة بهذه الأمة: تخوُّفه ﷺ عليها، مما تعمل، أو يخاف عليها من بعض المتسلطين، كجدال المنافق، والأئمة المضلين، والتنافس في الدنيا،...الخ.

وعن عَمْرو بن عوف رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بنَ الجراح إلى البحرين،... وفيه قوله ﷺ: «فأبشروا، وأمّلوا ما يسركم، فو الله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسطَ الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم». متفق عليه.

١٧ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة: شهادته ﷺ لها.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة:١٤٣]

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى

على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني - والله - لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيحَ الأرض - وإني - والله - ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها». متفق عليه.

١٨ - ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة: إخباره ﷺ أن صلاته على الميت هي رحمة له، وأن القبور مملوءة ظلمة، وأن الله تعالى ينوِّرها بصلاته على الميت.

فعن يزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ ذاتَ يوم، فرأى قبراً جديداً، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذه فلانة - مولاة بني فلان - فعرفها رسول الله ﷺ - ماتت ظهراً، وأنت نائمٌ قائلٌ، فلم نحب أن نوقظك بها. فقام رسول الله ﷺ، وصفَّ الناسَ خلفه، وكبَّر عليها أربعاً. ثم قال: «لا يموت فيكم ميّت - ما دمت بين أظهركم - إلا آذنتموني، فإن صلاتي له رحمة». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والطحاوي - وسقط اسم الصحابي واستدركتُه من الإتحاف - والطبراني وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي برجال الصحيح.

١٩ - ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة: أن جعل الله عز وجل نبيّه الكريم ﷺ رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، وهذان الاسمان مما خصه تعالى بهما، ولله الحمد والفضل.

قال الله جل شأنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨]

٢٠ - ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة: أمره ﷺ أُمَّتَه بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، وكذا مع غيرهم، مع بيان حال الراحم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لا يَرحم لا يُرحم». متفق عليه. قاله ﷺ جواباً للأقرع بن حابس.

والمراد - والله تعالى أعلم - من لا يرحم الخلق لا يرحمه الله تعالى.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لا يَرحم الناسَ لا يرحمه الله تعالى عز وجل». متفق عليه.

٢١ - ومن مظاهر رحمة الله تعالى بهذه الأمة، وشمولها برحمته المهداة: أن قبض الله سبحانه وتعالى نبيَّها الكريمَ ﷺ قبلها؛ ليكون لها فَرَطاً وسلفاً بين يديها. بخلاف ما إذا تُوفي بعدها، فيشهد عذابَها، وهذا يتنافى مع الرحمة، وهذا الحديث من معجزاته ﷺ.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أراد رحمةَ أمةٍ من عباده، قبض نبيَّها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها، وإذا أراد هلَكةَ أمةٍ، عذَّبَها ونبيُّها حيٌّ، فأهلكها وهو ينظرُ، فأقَرَّ عينَه بهلَكَتِها؛ حين كذَّبوه، وعصوا أمرَه». رواه مسلم.

٢٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته وخوفه على أمته: خشيته ﷺ عليهم الرياء، وذلك لمن يُمدح في وجهه، ويخشى عليه غرور النفس.

فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: أثنى رجلٌ على رجل عند النبيّ ﷺ فقال: «ويلك، قطعتَ عنقَ صاحبك، قطعتَ عنقَ صاحبك» مراراً ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكّي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذاك منه». متفق عليه.

قلت (الشيخ خليل): لكن ذلك محمول على أحد أمرين، الزيادة في المدح، وخشية وقوع فتنة من الإطراء، أما إذا لم يُخش فتنة، ومن غير إطناب، وفيه أي (في الممدوح) ما يقال: فهذا جائز، بل قد يكون مشروعاً، وعليه يحمل مدحه وثناؤه ﷺ على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم في وجوههم. لأن: «تلك عاجل بشرى المؤمن». والله تعالى أعلم.

٢٣ - ومن مظاهر الرحمة المهداة ﷺ بهذه الأمة في الدنيا: إباحته ﷺ المحظور عند وجود المشقّة والحرج.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رخَّص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوّام في القُمُص الحرير في السفر، من حكّة كانت بهما. متفق عليه.

فالحرير قد ثبت تحريمه عنه ﷺ، ولكنه أباحه لهذين الصحابيين رضي الله تعالى عنهما لوجود العارض، وهو الحكّة، وهذا ليس مختصّاً بهما، بل هو شامل لكل من كان على شاكلتهما، والله تعالى أعلم.

الباب الثالث
رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم

ومن مظاهر الرحمة المهداة التي ظهرت في هذه الأمة: ما أكرم الله تعالى به صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل، حيث شملتهم هذه الرحمة، بحيث إنه ﷺ يتحرّق عليهم أن يصابوا بأذى، أو يستزلهم الشيطان، أو يخرجوا عن حدِّ الاعتدال، ويتفقدهم، ويدعو لهم، ويوصي بهم، ويعود مرضاهم، ويشيّع جنائزهم،... ويبكي على موتاهم، كما كان ﷺ يواسيهم بنفسه وعيشه وماله، بل لو طلب أحد منه ثوبه أعطاه إياه...إلخ.

ومن تلك المظاهر:

١ - ومن مظاهر رحمة الله تعالى بصحابة رسوله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، وشمولهم برحمته ﷺ المهداة: أن جعل وجود نبيِّه المصطفى الكريم ﷺ أماناً لهم من الفتن والارتداد واختلاف القلوب الذي يفضي إلى النار.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: صلينا المغربَ مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاءَ،... الحديث وفيه، فقال ﷺ: «النجومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». رواه مسلم.

٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه إذا كان معهم في سفر، ويوجد من يعتقب معه على الراحلة، فإنه يساوي ﷺ نفسه بهم، فإنه يمشي في نوبته، ولا يرضى أن يركب طيلة السفر.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير، قال: فكان أبو لبابة وعليّ بن أبي طالب زميلَيْ رسول الله ﷺ. قال: فكان إذا جاءت عُقْبَةُ رسول الله ﷺ قالا له: اركب، ونحن نمشي عنك. فيقول: «ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما». رواه أحمد وابن سعد والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي والشاشي والبزار وأبو يعلى والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.

٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: حثُّه ﷺ على الاعتدال والوسطية ومواءمة الفطرة، وعلى أخذ الأمور بالسهولة لا بالشدة، وعلى عدم المغالاة والتزيد والتعمّق ومجاوزة الحد.

ولهذا كثر عنه ﷺ قولُه: «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحب الأعمال إلى الله: ما دُووم عليه وإن قلَّ». متفق عليه.

وقد ورد هذا الحديث في الصلاة والصيام،... وغيرهما.

ونهى ﷺ عثمانَ بنَ مظعون رضي الله عنه عن التبتل، ولم يأذن له فيه. مع أنه يريد الانقطاع عن الدنيا، والتفرغ للعبادة.

٤ - ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم لم يرض أن يذهب أحدهم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ماشياً، حتى لو كان قد نذر ذلك.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه، فقال: «ما بالُ هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي، فقال ﷺ: «إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغني» وأمره أن يركب. متفق عليه. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه.

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال: نذَرتْ أختي أن تمشيَ إلى بيت الله الحرام حافيةً، فأمرتني أن أستفتي لها رسولَ الله ﷺ. فاستفتيتُه، فقال ﷺ: «لِتَمْشِ ولتركب». متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنةً، فقال: «اركبها» قال: يا رسول الله، إنها بدنة. فقال: «اركبها، ويلك» في الثانية أو الثالثة. متفق عليه.

٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: نهيه لهم عن الوصال بالصيام، وذلك بأن يصوم أحدُهم عدةَ أيام من غيرِ طعامٍ وشرابٍ فيها، يعني من غير فطور ولا سحور.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والوِصال» قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: «إني لستُ كهيئتكم، إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون». متفق عليه. فاكلفوا: تحمّلوا.

٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: عدم رغبته أن يتميَّز

عليهم، أو يُرفع فوقهم، بل كان يُشعرهم وكأنه واحد منهم،... وقد تنوّعت مظاهر ذلك.

فمن ذلك: رفضه ﷺ طلب الصحابة رضي الله عنهم أن يسجدوا له، وعلّق أمر السجود لمخلوق على أمرٍ محالٍ. وقد جاء الطلب من وجهين

أ - عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جملٌ يَسْنُون عليه،... الحديث بطوله، في قصة سجود الجمل للنبي الكريم ﷺ، وفي آخره: فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذا بهيمة لا يعقل؛ يسجدُ لك، ونحن نعقلُ، فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك. قال: «لا يصلح لبشر أن يسجدَ لبشرٍ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها، لعظم حقِّه عليها،...» الحديث، رواه أحمد والبزار.

يَسْنون: يسقون.

وعن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانَي أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو، حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكّاناً من طين، فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبيه، ثم ذكر قصة مجيء جبريل ، وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان. رواه أبو داود والنسائي، وأصل الحديث في الصحيحين. دكّاناً: دكّة للجلوس عليها.

٧ - ومن رحمته ﷺ وتواضعه وشفقته على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه كان يكره أن يطروه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، كما كان يكره أن ينادوه بالسيادة، بل بالنبوة والرسالة.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُطروني، كما أطْرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه». رواه البخاري. الإطراء: الإفراط في المدح.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا سيدنا وابن سيدنا ويا خيرنا ابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسولُ الله، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله». رواه أحمد وعبد بن حُميد والنسائي، وصححه ابن حبان والضياء.

قلت (الشيخ خليل): وهذه الأحاديث وما كان على شاكلتها، فهي مما قاله ﷺ في أوائل الهجرة، أو مما قاله ﷺ تواضعاً، لأن المفاضلة بين الأنبياء والرسل ثابتة في كتاب الله تعالى، وأن التسييد له ﷺ ثبت عنه في السَّنة العاشرة من الهجرة، كما في قوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة،...». متفق عليه. وغيره.

٨ - ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم - ثم بالأمة بعدهم - أنه لا يرضى أن يعذِّب أحدُهم نفسَه، بعبادةٍ ونحوها مما يشق عليه.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ويصوم ولا يفطر بنهار، ولا يستظل، ولا يتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «مروه فليستظل، وليقعد، وليتكلّم، وليتم صومه». رواه البخاري وغيره.

٩ - ومن رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه كان يمازحهم، حتى يزيل ما في نفوسهم من الرهبة والخوف، ويُشعرهم بقربه منهم، ويتألفهم على محبته والإيمان به، ولكنه ﷺ لا يقول إلا حقّاً.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا حاملوك على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبلَ إلا النوق؟». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في آخرين.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا؟ قال: «نعم، غير إني لا أقول إلا حقّاً». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي، وصححه الترمذي.

١٠ - ومن رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: تفقده لهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، مع إلحاحه ﷺ ومعاتبته لهم إذا لم يخبروه بمن مات، وبكاؤه عند وفاة أحدهم، أو عند خشية الموت. فلم يكن منعزلاً عنهم، ولا متكبّراً عليهم، بل كان يخالطهم.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثلَ الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنتَ تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنتُ أقول: اللّهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة، فعجّله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلتَ: اللّهم، آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار؟» قال: فدعا الله له، فشفاه. رواه مسلم.

خَفَتَ: ضَعُفَ.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن امرأةً سوداء كانت تقمُّ المسجدَ (أو شابّاً) ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا: مات. قال: «هلّا كنتم آذنتموني؟» قال: فكأنهم صغَّروا أمرها (أو أمره) فقال: «دلّوني على قبره» فدلوه، فصلّى عليها. ثم قال: «إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها. وإن الله عز وجل ينوِّرُها لهم بصلاتي عليهم». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

١١ - ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوّه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: بكاؤه ﷺ وسؤاله ربّه تعالى ما كان قد وعده ألّا يعذبهم وهو فيهم.

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: انكسفت الشمسُ يوماً على عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي،... و في آخره: ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، ويقول: «ربِّ ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم، ربِّ ألم تعدني أن لا تعذِّبهم وهم يستغفرون،...». الحديث بطوله، رواه أحمد وابن أبي شيبة والأربعة، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

١٢ - ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوه وحرصه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: شدة مناشدته ربه تعالى يوم بدر.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين - وهم ألف - وأصحابُه ثلاثُمائة وتسعة عشر، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: «اللّٰهم أَنجِز لي ما وعدتني، اللّٰهم آتني ما وعدتني، اللّٰهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه، مادّاً يديه، مستقبلَ القبلة، حتى سقط رداؤُه عن منكِبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءَه، فألقاه على منكِبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربَّك، فإنه سينجزُ لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾[الأنفال:٩] الحديث بطوله، رواه مسلم.

١٣ - ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوّه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه يعطف عليهم، ويطعم جائعهم، ولا يأكل حتى يأكلوا.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أللّٰه الذي لا إله إلا هو، إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر، فسألتُه عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ فلم يفعل.

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «يا أبا هر» قلت: لبيك رسول الله، قال: «الحق» ومضى، فتبعتُه، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبناً في قدح، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فلانة-.

قال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق إلى أهل الصُّفَّة، فادعهم لي».

قال: وأهلُ الصفَّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها. فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصُّفَّة؟ كنتُ أحقَّ أن أُصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، فإذا جاؤوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد. فأتيتهم فدعوتهم.

فأقبلوا، فاستأذنوا فأُذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت.

قال: «يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم» فأخذت القدح، فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدحَ، فأعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح، فأعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدحَ، حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ، وقد روي القومُ كلُّهم.

فأخذ القدح، فوضعه على يده، فنظر إليَّ، فتبسم، فقال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيتُ أنا وأنتَ» قلت: صدقتَ يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدتُ فشربتُ، فقال: «اشرب» فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا، والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً. قال: «فأرني» فأعطيتُه القدحَ، فحمد الله، وسمّى وشرب الفضلةَ. رواه البخاري.

١٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: مراعاته لشعورهم، ورأفته فيهم حال غربتهم، وتفقده لأحوالهم.

فعن مالك بن الحُوَيرث رضي الله تعالى عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فظن أنَّا قد اشتقنا أهلنا، فسألَنا عن من تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلِّموهم،...» الحديث بطوله، متفق عليه.

١٥ - ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: عدم خروجه إلى المسجد لصلاة الليل، خشية أن تكتب عليهم.

فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، أن النبيّ ﷺ اتخذ حجرةً في المسجد من حصير، فصلى رسولُ الله ﷺ فيها ليالي، حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلةً، فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضُهم يتنحنح ليخرج إليهم، فقال: «ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم، حتى خشيتُ أن يُكتب عليكم، ولو كُتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناسُ في بيوتكم، فإن أفضلَ صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة». رواه البخاري.

١٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: اعتذاره عما يخشى أن يقع في نفوسهم من الهجر والقطيعة.

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، فانطلقتُ، ثم رجعتُ وقد قضيتُها، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فسلَّمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ، فوقع في قلبي ما الله أعلمُ به، فقلتُ في نفسي: لعل رسول الله ﷺ وجَدَ عليَّ أنِّي أبطأتُ عليه، ثم سلَّمتُ عليه فلم يرد، فوقع في قلبي أشدُّ من المرة الأولى، ثم سلمتُ عليه فردَّ عليَّ، وقال: «إنما منعني أن أردَّ عليكَ أني كنتُ أصلي» وكان على راحلته متوجِّها إلى غير القبلة. متفق عليه، واللفظ للبخاري.

١٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: استجابته دعوةَ أي فرد في المجتمع، سواء كان من عِلية القوم، أو صناع، أو امرأة، أو عبد،... وبغض النظر عن نوعية الطعام، حتى لو كان طعام دون، إذ العبرة بما هو موجود.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه. قال أنس بنُ مالك: فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك طعام. فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبَّاء وقَديد. قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبّع الدُّبَّاءَ من حوالي الصحفة. قال: فلم أزل أحبُّ الدُّبَّاءَ منذ يومئذ. متفق عليه.

١٨ - ومن رحمته ﷺ وشفقته وعطفه وحرصه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم:

أنه ﷺ لا يأمرهم إلا بما يستطيعون، وأنه إذا بايعهم على أمر يلقّنهم فيما استطعتم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتُكم، فإنما أهلك مَن كان قبلكم سُؤالُهم، واختلافُهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». متفق عليه.

وعن عبد الله بنِ عُمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتَ - أو قال: استطعتم -». متفق عليه.

١٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: إخباره ﷺ أن من ترك دَيناً فعليه قضاؤه، وأن من ترك مالاً فلورثته.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب:٦] فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبتُه من كانوا، ومن ترك دَيناً أو ضياعاً فليأتني، فأنا مولاه». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وفي رواية لهما: «من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك دَيناً فعليَّ قضاؤه».

٢٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: طلبُه ﷺ ممن أصابه - ولو خطأ - أن يقتاد منه بمثل ما أُصيب.

فعن أبي ليلى الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كان أُسَيد بن حُضَير رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدّث القومَ، ويُضحكهم، فطعن رسول الله ﷺ في خاصرته. فقال: أوجعتني. قال: «اقتص» قال: يا رسول الله ﷺ إن عليكَ قميصاً، ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه، فاحتضنه، ثم جعل يُقبّل كَشحه. فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنما أردت هذا. رواه أبو داود والطبراني والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

الباب الرابع
رحمته ﷺ بالمخطئين والمخالفين من أمته في الدنيا

ومن مظاهر الرحمة المهداة من الله تعالى التي ظهرت في هذه الأمة: ما ظهرت على العصاة والمخطئين والمخالفين منها في هذه الحياة الدنيا. حيث إنهم لم يهلكوا - كما حصل في الأمم السابقة - كما أنه ﷺ يرحمهم، ويتألم لمعصيتهم، ويتمنى ألّا يكونوا قد وقعوا في ذلك.

فمن تلك المظاهر:

١ - أنه ﷺ لم يَدْعُ على العصاة والمخالفين والمخطئين من أمته، ونهى ﷺ عن سبهم، وعن لعنهم، بل طلب ﷺ الدعاءَ لهم بالمغفرة والرحمة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أُتي النبي ﷺ بسكران، فأَمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف؛ قال رجل: مالَهُ، أخزاه الله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم». رواه البخاري.

وفي رواية له: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان».

٢ - ومن مظاهر الرحمة المهداة من الله عز وجل إلى هذه الأمة: شمولها للمخطئين والمخالفين، حيث إنه ﷺ يكون معهم في غاية اللطف والعطف والشفقة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: هلكتُ يا رسول الله، قال: «ما أهلكك؟» قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان. قال: «هل تجدُ ما تعتق رقبةً؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصومَ شهرين متتابعَين؟» قال: لا. قال: «فهل تجدُ ما تطعم ستين مسكيناً؟» قال: لا. قال: ثم جلس. فأُتِي النبيُّ ﷺ بعَرَق [الزنبيل] فيه تمر. فقال: «تصدَّق بهذا» قال: أفقرَ منا؟ فما بين لابتيها أهلُ بيت أحوجُ إليه منّا. فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «اذهب، فأطعمه أهلَك». متفق عليه. عَرَق الزنبيل: وعاء ضخم فيه تمر.

٣ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ بالمخطئين والمقصّرين عن هذه الأمة: أنه ﷺ ما سُئل عن شيء قُدِّم أو أُخِّر من أعمال يوم النحر في الحج: إلا قال ﷺ: «افعل ولا حرج» ولم يشقّ على الأمة في ذلك.

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجلٌ فقال: لم أشعر فحلقتُ قبل أن أذبح، فقال: «اذبح ولا حرج» فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي، فقال: «ارم ولا حرج» فما سُئل النبيُّ ﷺ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: «افعل ولا حرج». متفق عليه.

٤ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ بالمخطئين والمخالفين: نهيه ﷺ الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين زجروا الأعرابيَّ الذي بال في المسجد، أن يقطع بوله؛ خوفاً عليه ألّا يتضرر، وحتى لا يلوّث مكاناً أوسع من المسجد.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء - أو سَجْلاً من ماء - فإنما بُعثتُم مبشرين [وفي رواية: مُيَسِّرين] ولم تُبعثوا معسرين». متفق عليه.

ليقعوا به: ليؤذوه بالضرب.

٥ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ مع المخطئين والمذنبين، ما ظهر يوم جاءه ماعزٌ، يدَّعي ارتكابَه جريمةَ الزنا، وكيف حاول ﷺ التأكد من فعله.

فعن نعيم بن هزّال رضي الله تعالى عنه قال: كان ماعزُ بنُ مالك في حجر أبي، فأصاب جاريةً من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله ﷺ، فأخبره بما صنعتَ، لعلّه يستغفر لك - وإنما يريد بذلك رجاءَ أن يكون له مخرج - فأتاه فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ، فأقم عليَّ كتابَ الله. فأعرض عنه، فعاد، فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ، فأقم عليَّ كتابَ الله. فأعرض عنه، ثم أتاه الثالثةَ، فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ فأقم عليَّ كتابَ الله. ثم أتاه الرابعةَ، فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ، فأقم عليَّ كتابَ الله.

فقال رسول الله ﷺ: «إنك قلتها أربعَ مرات، فيمن؟» قال: بفلانة. قال: «هل ضاجعتَها؟» قال: نعم. قال: «هل باشرتَها؟» قال: نعم. قال: «هل جامعتَها؟» قال: نعم [زاد في رواية: فبعث إلى قومه، فسألهم: «أبه جنون؟» قالوا: لا. فسأل عنه: «أثيبٌ، أم بكر؟» قالوا: ثيب] قال: فأَمر به أن يُرجم.

قال: فأُخرج به إلى الحَرَّة، فلما رُجم، فوجد مسَّ الحجارة جزع، فخرج يشتد، فلقيه عبدُ الله بن أُنيس - وقد أعجز أصحابَه - فنزع له بوظيف [ساق] بعير، فرماه به، فقتله. قال: ثم أتى النبيَّ ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: «هلّا تركتموه لعله يتوب، فيتوب الله عليه». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي والبيهقي والطبراني، وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

٦ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ: تنبيه من أخطأ منهم بلطف ولين وسهولة، وليس بفظاظة وغلظة وخشونة.

فعن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله تعالى عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ ما شأنكم! تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَني. لكني سكتُّ.

فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: «إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءةُ القرآن». رواه مسلم. كهرني: زجرني.

٧ - لقد كان النصر - في بادئ الأمر - للمسلمين في غزوة أُحُد، ولما رأى بعضُ الرماة انهزامَ قريش، ودخولَ المسلمين معسكرَهم، ظنوا أن المعركة انتهت، لذا قرروا النزول من الجبل، مخالفين أمرَ رسول الله ﷺ، وتحذيرَ أميرهم رضي

الله تعالى عنه، ليتم أمر الله تعالى، فاغتنمها خالد بنُ الوليد وعكرمة ابن أبي جهل - وكانا آنذاك مع المشركين - فانقلب الميزان، إضافة لما حصل من مناداة إبليس - كذباً - بمقتل النبي المصطفى الكريم ﷺ، و كذا قول ابن قمئة الخبيث بذلك، فحصل أمر الله تعالى، وأصيب النبيُّ الكريم ﷺ، فكسرت رباعيته الشريفة، وشجت وجنته الكريمة،... وقُتل من قُتل من المسلمين، ممن خصّه الله تعالى بالشهادة.

ومع هذا، فإن من رحمة الله تعالى بهذه الصفوة من الخلق: أن يطلب الله تعالى من نبيّه الكريم ﷺ أن يعفو عمن كان السبب، وأن يُسقط حقَّه الشخصيَّ في ذلك، وأن يستغفر الله تعالى حقَّه لهم أيضاً، وأن يتغاضى عن تلك الزَّلَّةِ منهم، ويعتبرها كأنها لم تكن، فيعيد لهم اعتبارهم، ويشاورهم في الأمر، لأن الله تعالى غفور رحيم.

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه الكريمَ ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩]

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ أي بسبب الرحمة التي أودعها الله في قلبك يا محمد، كنتَ هيّناً، لِيّن الجانب مع أصحابك، مع أنهم خالفوا أمرك وعصوك، ولو كنت خشن الجانب، شرس الأخلاق، تعاملهم بالغلظة والجفاء، لنفروا منك وتفرَّقوا عنك، ولكنك وسعتَهم بخُلقك

الحميد، وقلبك الرحيم، ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي فاعفُ عمَّا صدر منهم من خطأ، كما عفى الله عنهم واطلب لهم من الله المغفرة، إكمالاً للبرِّ بهم، وإتماماً للشفقة عليهم، وشاورهم في أمر الحرب، وفي جميع الأمور الهامة، ليقتدي بك المسلمون، فإذا صَمَّمْت على أمر بعد الاستشارة، فتوكَّلْ على ربك، فإنه سبحانه يُحبُّ المعتمدين عليه، المفوِّضين أمورهم إليه.

ولقد وصف عبد الله بن عمرو بن العاص النبي ﷺ فقال: إنه ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بمثلها، ولكن يعفو ويصفح. رواه البخاري.

٨ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: تنبيه من أحرم بجبته، وهو متضمخ بالطيب: في غاية اللطف والرحمة.

فعن يَعْلى بن أميةَ رضي الله تعالى عنه، قال لعمر رضي الله تعالى عنه: أرني النبيَّ ﷺ حين يُوحى إليه. قال: فبينما النبيُّ ﷺ بالجِعْرانَة - ومعه نفرٌ من أصحابه - جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجلٍ أَحْرَم بعمرةٍ وهو متضمِّخُ بطيب؟ فسكت النبيُّ ﷺ ساعةً، فجاءه الوحيُ، فأشار عمرُ رضي الله تعالى عنه إلى يَعْلى، فجاء يَعْلى - وعلى رسول الله ﷺ ثوبٌ قد أُظِلَّ به - فأدخلَ رأسَه، فإذا رسولُ الله ﷺ مُحمرُّ الوجهِ، وهو يَغطُّ، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: «أين الذي سأل عن العمرةِ؟» فأُتي برجلٍ، فقال: «اغسل الطيبَ الذي بك ثلاثَ مراتٍ، وانزع

عنك الجُبَّةَ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك». متفق عليه، واللفظ للبخاري.
يَغُطُّ: ينفخ. سُرِّي: كُشف عنه.

٩ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: أنه ﷺ إذا أمر أصحابه رضي الله تعالى عنهم بأمر - ولم يفعله قبلهم- فأبطؤوا عليه بالتنفيذ، لوجود عذر عندهم: عرف ذلك في وجهه، فيفعل ذلك قبلهم، أو يبيّن لهم السبب في عدم فعله قبلهم حتى لا يهلكوا بمخالفتهم.

فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ومروان رحمه الله تعالى - في قصة صلح الحُدَيْبِيَة - وفي آخره، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا» قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات. فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس [زاد أبو المليح في روايته فقال: «هلك المسلمون، أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا»] فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقَك فيحلقك. فخرج، فلم يكلِّم أحداً منهم، حتى فعل ذلك؛ نحر بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضاً غمّاً. رواه البخاري.

١٠ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: أنه ﷺ ما كان يجابه أحداً أخطأ يخصّه بالخطاب، بل كان يعمِّم، فيقول: «ما بال أقوام» وفي ذلك تعمية على المخطئ، وعدم تبكيته.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن نفراً من أصحاب النبيّ ﷺ سألوا أزواج النبيّ ﷺ عن عمله في السِّرّ؟ فقال بعضُهم: لا أتزوَّجُ النساءَ. وقال بعضُهم: لا آكلُ اللحمَ. وقال بعضُهم: لا أنامُ الليلَ. فحمد اللهَ وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوامٍ قالوا كذا وكذا؟ لكني أُصلّي وأنامُ، وأصومُ وأُفطر، وأتزوَّجُ النساءَ، فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

١١ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: رفقُه ﷺ بمن وقعت عليه فدية، وشفقته عليه.

فعن كعب بن عُجرة رضي الله تعالى عنه، أنه خرج مع النبيّ ﷺ مُحْرِماً، فقَمِل رأسُه ولحيتُه، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فأرسل إليه [زاد في رواية: ما كنت أُرى أن الجهدَ بلغ منك ما أرى] فدعا الحلّاق فحلق رأسَه، ثم قال له: «هل عندك نُسُكٌ؟» قال: ما أقدر عليه، فأمره أن يصومَ ثلاثةَ أيام، أو يُطعمَ ستةَ مساكين، لكل مسكينين صاعٌ. فأنزل الله عز وجل فيه خاصة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة:٦٩١] ثم كانت للمسلمين عامة. متفق عليه. نُسُكٌ: أي ما يُذبح من النِعم.

١٢ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: أنه ﷺ لم يعنّف الذين صلّوا في بيوتهم، ولم يصلّوا معه، ثم حضروا مجلسه، وأرشدهم إلى الصواب.

فعن يزيد بن الأسود رضي الله تعالى عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حجَّتَه، قال: فصلّيتُ معه صلاة الفجر في مسجد الخَيْف، فلما قضى صلاتَه إذا هو

برجُلَين في آخر المسجد لم يُصلِّيا معه، فقال: «علَيَّ بهما» فأُتي بهما تُرعَدُ فرائصُهما. قال: «ما منعكما أن تصلِّيا معنا؟» قالا: يا رسول الله، كنا صلّينا في رحالنا. قال: «فلا تفعلا، إذا صليتُما في رحالكما، ثم أتيتُما مسجدَ جماعةٍ، فصلِّيا معهم، إنها لكما نافلة».

قال: فقال أحدُهما: استغفر لي يا رسول الله، فاستغفر له،... الحديث، رواه أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي والدارمي والأربعة - في آخرين - وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان وابن السكن.

١٣ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: حثّه ﷺ على تعافي الحدود فيما بين المسلمين، وحثه ﷺ صاحب الحق على إسقاط حقه، وعلى الستر على المخطئين، والشفاعة فيما يقتضي التعزير، وذلك كله قبل رفعها إلى الإمام، لأنه إذا وصلت الإمام، فيجب أن تقام الحدود، وإلّا كان معطِّلاً لها.

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حَدٍّ فقد وجب». رواه أبو داود والنسائي والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه الحافظ أيضاً. تعافوا: لِيعفُ بعضكم عن بعض.

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم،... ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». متفق عليه.

وعن صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه، أنه نام في المسجد، وتوسّد رداءَه، فجاء سارقٌ فأخذ رداءَه، فأخذ صفوانَ السارقَ، فجاء به إلى النبي ﷺ فأمر به رسول الله ﷺ أن تُقطعَ يدُه، فقال صفوان: يا رسول الله، إني لم أُرد هذا، هو عليه صدقة، فقال رسول الله ﷺ: «فهلّا قبل أن تأتيني به». رواه مالك والشافعي وأحمد وابن الجارود وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني، وصححه الحاكم وصاحب التنقيح.

١٥ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: إعراضه ﷺ عن الإجابة على ما لم يقع، مع كراهيته السؤال عن ذلك، مع تنبيهه على عقوبة من سأل عن أمر لم يُحرَّم؛ فحُرِّم من أجل مسألته.

فعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم، فحُرِّم من أجل مسألته». متفق عليه.

١٦ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: طلبه ﷺ من بعض من حضر أن ينصح من خالف، ولا يجابهه هو بذلك.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: أتانا رسول الله ﷺ زائراً في منزلنا، فرأى رجلاً شعِثاً [قد تفرَّق شعرُه] فقال: «أما كان يجد هذا ما يُسكِّن به رأسَه؟».

ورأى رجلاً [آخر] عليه ثيابٌ وسخةٌ، فقال: «أما كان يجد هذا ما يغسل به

ثيابه؟». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وأبو يعلى، وصححه ابن حبان والحاكم. وهناك عدة قضايا في ذلك أيضاً.

١٧ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: ثناؤه ﷺ على من أقيم عليه الحدُّ، وعدم رضاه على من تكلَّم فيه.

فعن بُرَيدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه - في قصة رجم ماعز رضي الله تعالى عنه، وفي آخر الحديث: ثم جاء رسول الله ﷺ - وهم جلوس - فسلّم ثم جلس، فقال: «استغفروا لماعز بن مالك» قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمَّةٍ لوَسِعَتْهم». رواه مسلم.

وعنه رضي الله عنه - في قصة رجم الغامدية رضي الله عنها، وفي آخر الحديث، وأمر ﷺ الناسَ فرجموها، فيُقبل خالدُ بنُ الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضَّح الدم على وجه خالد فسبَّها، فسمع نبيُّ الله ﷺ سبَّه إياها، فقال: «مهلاً يا خالدُ، فو الذي نفسي بيده، لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مَكْسٍ لغُفر له». ثم أمر بها فصلّى عليها، ودفنت. رواه مسلم.

صاحبُ مَكْسٍ: الذي يأخذ من التجار إذا مرّوا مَكساً، يعني يأخذ منهم الضريبة.

قال الإمام النووي: فيه أن المكس من أقبح المعاصي والذنوب الموبقات، وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده، وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها، وصرفها في غير وجهها.

١٨ - ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين: عدم ذمّه من أخطأ في العبادة، مع دعائه ﷺ له، وتنبيهه بعدم العود ثانية، أي بعدم الركض، أو بعدم الإعادة.

فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه، أنه انتهى إلى النبيّ ﷺ وهو راكع، فركع قبل أن يصلَ إلى الصف. فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً، ولا تعد». رواه البخاري.

الباب الخامس
رحمته ﷺ بالأعراب والجهال

ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة أيضاً: حسن معاملته ﷺ للجفاة من الأعراب، وللجاهلين الذين شدَّدوا عليه في الخطاب.

١ - رحمته ﷺ وشفقته بالأعرابي الذي بال في المسجد.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء - أو سَجْلاً من ماء - فإنما بُعثتُم مبشرين». رواه البخاري. يقعوا به: يضربوه.

٢ - رحمته ﷺ بالذي تكلّم في الصلاة.

فعن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله تعالى عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّياهْ ما شأنكم! تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يُصَمِّتونَني. لكني سكتُّ.

فلما صلى رسول الله ﷺ، - فبأبي هو وأمي - ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: «إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءةُ القرآن». رواه مسلم. ما كهرني: ما زجرني.

٣ - تنبيهه ﷺ ذلك الأعرابي الذي حجّر سعةَ رحمة الله تعالى، ولم يعمّم دعوتَه بالرحمة للمسلمين.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابيٌّ وهو في الصلاة: اللّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجَّرتَ واسعاً» يريد رحمةَ الله. رواه البخاري.

٤ - ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة التي شملت الأعراب والجهّال: مزحه ﷺ اللطيف مع زاهرٍ رضي الله تعالى عنه، مع محبته ﷺ له، وتجهيزه ﷺ له إذا أراد الخروج إلى البادية، وقبوله الهدية منه، وتفاني زاهر رضي الله تعالى عنه في محبة النبي المصطفى الكريم ﷺ.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً من أهل البادية، كان اسمه زاهراً، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ الهديةَ من البادية، فيُجهّزه النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «إن زاهراً باديتنا، ونحن حاضروه».

وكان رسول الله ﷺ يحبُّه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبيّ ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبيّ ﷺ حين عرفه، وجعل رسولُ الله ﷺ يقول: «من يشتري العبدَ؟» فقال: يا رسول الله، إذاً - والله - تجدُني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد» أو قال: «لكن عند الله أنت غال». رواه عبد الرزاق وأحمد والترمذي والبزار وأبو يعلى،

وصححه ابن حبان، في آخرين، وصححه الحافظ ابن حجر، وقال ابن كثير: هذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين.

٥ - ومن مظاهر تلك هذه الرحمة المهداة التي شملت الأعراب والجهّال: قبوله ﷺ أن يجلس الأعرابي معه على السفرة، وأن يأكل معه، مع أنه لم يُسَمِّ ، لذا استحل الشيطان الأكلَ بسبب ذلك الأعرابي.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعاماً لم نضع أيدينَا، حتى يبدأ رسولُ الله ﷺ، فيضع يده، وإنَّا حضرنا معه مرةً طعاماً فجاءت جاريةٌ كأنَّما تُدْفَع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسولُ الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابيٌّ كأنَّما يُدْفَع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشيطان ليستحلُّ الطَّعام ألا يذكر اسمُ الله عليه، وإنَّه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها، فأخذتُ بيَدِها، فجاء بهذا الأعرابيِّ ليستَحِلَّ به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده: إنَّ يده في يدي مع يدها». رواه مسلم.

٦ - إجابته ﷺ الأعرابي بنحو صوته، مع أنه رفع صوته، ورفض أن يخفضه.

فعن صفوان بن عسّال رضي الله عنه قال: ...بينا نحن مع رسول الله ﷺ في مسير له، إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوريٍّ: يا محمد، فأجابه النبيُّ ﷺ بنحوٍ من صوته: «هاؤم» فقلنا له: اغضض من صوتك، فإنك نُهيتَ عن هذا، فقال: لا والله، لا أغضض من صوتي، فقال: يا رسول الله، المرءُ يحبُّ القومَ ولمّا يلحق بهم، قال: «المرءُ مع من أحبَّ» الحديث بطوله، رواه عبد الرزاق والحميدي والطيالسي وأحمد وغيرهم، وصححه الترمذي وابن حبان.

٧ - تحمُّله ﷺ لغلظة الأعراب، ومسامحته ﷺ لهم عما يصدر منهم، وعدم معاملته لهم بالمثل.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه رداءٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه بردائه جبذةً شديدةً، [رجع نبيُّ الله ﷺ في نحر الأعرابيِّ، حتى انشق البرد، وحتى بقيت حاشيته في عنق رسول الله ﷺ] نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثَّرت بها حاشيةُ الرداء، من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فضحك، ثم أمر له بعطاء. متفق عليه. البرد: الرداء.

٨ - حسن مداراته ﷺ للأعراب، وتلطفه بهم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن أعرابيّاً جاء إلى النبيِّ ﷺ يستعينه في شيء، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: «أحسنتُ إليك؟» قال الأعرابيُّ: لا، ولا أجملتَ، قال: فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كُفّوا.

ثم قام النبيُّ ﷺ فدخل منزلَه، ثم أرسل إلى الأعرابي، فدعاه إلى البيت، فقال: «إنك قد جئتَنا فسألتَنا، فأعطيناك، فقلتَ ما قلتَه» فزاده رسول الله ﷺ شيئاً، ثم قال: «أحسنتُ إليك؟» قال الأعرابيُّ: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرةٍ خيراً.

فقال له النبيُّ ﷺ: «إنك كنتَ جئتنا فسألتَنا، فأعطيناك، وقلتَ ما قلتَ، وفي

أنفس أصحابي [عليك] شيءٌ من ذلك، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يدَيَّ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك» قال: نعم.

فلما كان الغدُ أو العشيُّ، جاء، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبَكم هذا كان جاء فسألنا، فأعطيناه، وقال ما قال، وإنّا دعوناه إلى البيت فأعطيناه، فزعم أنه قد رضي، أكذلك؟».

قال الأعرابيُّ: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

قال أبو هريرة: فقال النبيُّ ﷺ: «ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي، كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة: خلّوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها وأعلَم، فتوجَّه لها صاحبُ الناقة، فأخذ لها من قمام [قتام] الأرض، فردّها هوناً هوناً، حتى جاءت، واستناخت، وشدَّ عليها، وإني لو تركتُكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النار». رواه البزار وأبو الشيخ بإسناد ضعيف كما قال الحافظ العراقي، ولكن يشهد له الروايتان السابقتان فهو بهما حسن، والله تعالى أعلم. قمام الأرض: أي مما يوجد على الأرض من حشيش وتبن.

٩ - إثباته ﷺ الأعراب على ما يقدمونه له من هبات - مع أن في بعض ما وهبوه مالَه الذي فُقِد منه -.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أعرابيّاً أهدى إلى رسول الله ﷺ بَكْرَةً،

فعوَّضَه منها ستَّ بكرات، فتسخَّطه، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن فلاناً أهدى إليَّ ناقةً، وهي ناقتي، أعرفها كما أعرف بعضَ أهلي، ذهَبَتْ مني يوم زغابات، فعوَّضتُه ستَّ بكرات، فظلَّ ساخطاً، لقد هممت أن لا أقبل هديةً إلّا من قرشيٍّ، أو أنصاريٍّ، أو ثقفيٍّ، أو دوسيٍّ». رواه أحمد وعبد الرزاق والحميدي والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي، رووه مطولاً أو مختصراً، وصححه ابن حبان، وشاهده حديث ابن عباس رضي الله عنهما. **زغابات أو زغابة** : موضع قرب المدينة.

قال الشيخ خليل: الناقة ناقتُه، فُقدت منه، وأخذها هذا الأعرابي، وأهداها له، وأعطاه ﷺ مقابل تلك الهدية ستَّ بكرات، ويبقى ساخطاً، فماذا يريد؟! لو كان غيره ﷺ لما بعد أن يأخذها منه - طالما هي ناقته - ولا يعطيه شيئاً، بل قد يعاقبه، ولكنها الأخلاق الفاضلة التي يعلِّم بها الخليقةَ.

١٠ - تركه ﷺ للخطبة - وهو على المنبر - وإقباله على الأعرابي والجاهل الذي يسأل عن دينه، ويبقى معه حتى يتعلم ما يسأل عنه، ثم يتابع ﷺ خطبته.

فعن أبي رفاعة رضي الله تعالى عنه قال: انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو يخطب. قال فقلت: يا رسول الله، رجلٌ غريبٌ، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينُه. قال: فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبتَه، حتى انتهى إليَّ، فأُتيَ بكرسيّ - حسبتُ قوائمَه حديداً - قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلِّمني مما عُلِّمه، ثم أتى خطبتَه فأتمَّ آخرَها. رواه مسلم.

١١ - قبوله ﷺ المزاح اللطيف من الأعراب.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كان يوماً يحدّث - وعنده رجل من أهل البادية - «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزرع، فقال: أَوَلستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ أن أزرع، فأسرعَ وبذر فتبادر الطرفَ نباتُه واستواؤه واستحصادُه وتكويرُه أمثالَ الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابنَ آدم، فإنه لا يشبعك شيءٌ».

فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلّا قرشيّاً أو أنصاريّاً، فإنهم أصحابُ زرعٍ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك رسول الله ﷺ. رواه البخاري.

١٢ - صبرُه ﷺ على إنكار الأعراب وجلافتهم فيما لو بايعوه، وطلبهم الشاهد منه ﷺ على ما يقول.

عن عمارة بن خزيمة رحمه الله تعالى، أن عمه حدَّثه - وهو من أصحاب النبيّ ﷺ - رضي الله عنه - أن النبيَّ ﷺ ابتاع فرساً من أعرابيّ، فاستتبعه النبيُّ ﷺ ليقضيَه ثمنَ فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشيَ، وأبطأ الأعرابيُّ، فطفق رجال يعترضون الأعرابيَّ فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبيَّ ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضُهم الأعرابيَّ في السَّوْم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبيُّ ﷺ، فنادى الأعرابيُّ رسولَ الله ﷺ، فقال: إن كنتَ مبتاعاً هذا الفرسَ فابتعه، وإلا بعتُه. فقام النبيُّ ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، فقال: «أَوَ لَيس قد ابتعتُه منك؟» قال

الأعرابيُّ: لا والله، ما بعتُك. فقال النبيُّ ﷺ: «بلى قد ابتعتُه منك» فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتُك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبيَّ ﷺ لم يكن ليقول إلا حقّاً، حتى جاء خزيمةُ بنُ ثابت لمراجعة النبيِّ ﷺ ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابيُّ يقول: هلمَّ شهيداً يشهد أني بايعتُك. قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبيُّ ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد؟» فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادةَ خزيمة بشهادة رجلين.

وفي رواية عن عُمارةَ عن أبيه، فقال رسول الله ﷺ: «من شهد له خُزيمةُ، أو شهد عليه، فحَسْبُه». رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

١٣ - تحمُّله ﷺ لغلظتهم وجفائهم، وصبره على إلحاحهم...

فعن جُبير بن مطعِم رضي الله تعالى عنه، أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مُقبلاً من حُنَين، علقت رسولَ الله ﷺ الأعرابُ، يسألونه، حتى اضطرّوه إلى سَمُرَة، فخطِفت رداءَه. فوقف رسولُ الله ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عددُ هذه العِضاهِ نَعَماً، لقسمتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً». رواه البخاري.

علقت: أي تعلّقوا به يسألونه.

١٤ - استجابته ﷺ لهم في طلب السقيا من الله تعالى، ولو كان على المنبر، وهو يخطب الجمعة.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أصابت الناسَ سنَةٌ على عهد النبيّ ﷺ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة، قام أعرابيٌّ [من أهل البدو] فقال: يا رسول الله، هلك المالُ، وجاع العيالُ، فادع الله لنا أن يسقينا. فرفع رسول الله ﷺ يديه، وما في السماء قزعة، [فو الذي نفسي بيده، ما وضعها حتى] ثار سحاب أمثالَ الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطرَ يتحادر على لحيته. قال: فمُطرنا يومنا ذلك، وفي الغد، ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى.

وقام ذلك الأعرابي - أو رجلٌ غيرُه - فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناءُ، وغرق المالُ، فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللّهم حوالينا ولا علينا» قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحيةٍ من السماء إلا انفرجت،... الحديث، متفق عليه. قزعة: سحاب.

١٥ - منعه ﷺ عن ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام، بسبب مجيء نفر من أهل البادية ضعفاء، وأمر المسلمين المضحّين أن يتصدّقوا على هؤلاء بما عندهم من اللحم ذلك العام، ثم نسخ ذلك بعدُ.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دفّ أهلُ أبيات من أهل البادية حضْرةَ الأضحى، زمن رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «ادَّخروا ثلاثاً، ثم تصدَّقوا بما بقي».

فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله، إن الناس يتخذون الأسقيةَ من

ضحاياهم، ويجملون منها الوَدَك. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: نهيتَ أن تؤكلَ لحوم الضحايا بعد ثلاث. فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدّافَّة التي دفَّت، فكُلوا، وادَّخِروا، وتصدَّقوا». رواه مسلم. دفّ: قدم. حضْرةَ الأضحى: وقت الأضحى. الأسقية: وعاء من جلد. الوَدَك: الدهن.

١٦ - أنه ﷺ لما أتاه قوم حفاة عراة من الأعراب؛ ورأى حالهم تألم كثيراً، وصار يدخل بيته هل يجد شيئاً، ويخرج، ثم خطب ﷺ، فحثّ على الصدقة.

فعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم [من الأعراب] حفاةٌ عراةٌ، مجتابي النِّمار - أو العباء - متقلدي السيوف، عامَّتُهم من مُضر، بل كلُّهم من مُضر. فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام، فصلى، ثم خطب فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] والآية التي في الحشر ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ﴾ [الحشر:١٨] تصدَّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمْره - حتى قال: ولو بشِقِّ تمْرة».

قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصرَّةٍ كادت كفُّه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناسُ، حتى رأيتُ كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجهَ رسول الله ﷺ يتهلَّلُ كأنه مُذْهبَةٌ. فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام

سنَّةً حسنةً، فله أجرها، وأجرُ من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ». رواه مسلم. مجتابي: لابس. النِّمار: كساء من صوف.

الباب السادس
رحمته ﷺ بالنساء

لقد كانت المرأة في الجاهلية لا وجود لها، ولا قيمة، فهي أشبه بسقط المتاع،... فلما جاء نبي الرحمة ﷺ منحها حياتَها، وأعاد إليها إنسانيتها، وأعطاها من الحقوق ما كانت لتحلم هي بها، فجعلها مساويةً للرجل في كل الأمور.

ولعلمه ﷺ بحالها ووضعها وما كانت عليه: كثرت توصيته ﷺ بها.

١ - فمن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء: توصيته ﷺ بهن، لأنهن ضعيفات، ويحتجن إلى العطف والشفقة والرحمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلِقت من ضِلَع، وإن أعوجَ ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمَه كسرته، وإن تركتَه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً». متفق عليه.

يقول الشيخ علي الصلّابي حفظه الله تعالى: إن المعنى هنا على سبيل المجاز لا الحقيقة.

والدليل على ذلك: هل المرأة خلقت من الزجاج الذي تصنع منه القوارير؟ بالطبع لا، فإذا استخدم النبي ﷺ هذا اللفظ فهو على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، من مثل قوله ﷺ في صحيح مسلم في باب: «رحمة النبي ﷺ بالنساء»،

عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وغلامٌ أسودُ يقال له أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير». فالقوارير مفردها قارورة، والقارورة مصنوعة من الزجاج، ولكن هذا من باب المجاز كناية عن لين المرأة وضعفها ورفقاً بها.

إن حديث رسول الله ﷺ يقرّب الطبيعة العاطفية الانفعالية عند المرأة إلى أذهاننا. يصوّر لنا رسول الله ﷺ هذا التصوير البليغ المعبّر، حيث عرض ذلك في صورة ضلع، فمن المعلوم أن الضلع أعوج، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه، وأنه يستحيل تقويم الضلع وإزالة اعوجاجه، ومن فعل ذلك فسوف يكسره، وعلى الإنسان أن يتصرف مع الضلع على أساس اعوجاجه، وهكذا خلق الله المرأة عموما.

٢ - ومن مظاهر تلك الرحمة: أمره ﷺ الرجال باتقاء الله تعالى فيهن.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما - في ذكره لحجّ النبي الكريم ﷺ، وفيه قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع -: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجَهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يُوطئن فرشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف،...». رواه مسلم.

٣ - بيانه ﷺ حقَّ المرأة على الرجل، وأنها مثله في الحق.

فعن معاوية بن حَيْدَة رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطعمها إذا طَعمتَ، وتكسوَها إذا اكتسيتَ، ولا تضرب الوجهَ، ولا تُقبّح، ولا تهجر إلّا في البيت». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبغوي والبيهقي والطبراني وابن أبي الدنيا، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.

٤ - ومن مظاهر تلك الرحمة: أنه ﷺ يقف مع المرأة الضعيفة، والخادمة المسكينة، والجارية المهانة عند أهلها،... يقضي لها حاجتها.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. فقال: «يا أم فلان، انظري أيَّ السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتَكِ» فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها. لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري لهذا الحديث: كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت.

وقوله: (فخلا معها في بعض الطرق) ليس المراد به الخلوة المذمومة. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: أي وقف معها في طريق مسلوك، ليقضي حاجتَها، ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره، والله تعالى أعلم. اهـ.

٥ - نهيه ﷺ عن جَلْد النساء، كما يُجلد العبدُ أو الأَمَة. لأن الفاعل كذلك ليس من خيار المسلمين.

فعن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه قال: خطب رسول الله ﷺ، فذكر الناقة والتي عقر،... فذكر النساءَ فوعظ فيهن، ثم قال: «إلام يجلدُ أحدُكم امرأتَه جلدَ الأَمَة - أو قال: جلْدَ العبد - ولعله يضاجعُها من آخر يومه». متفق عليه.

وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذُباب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماءَ الله» قال: فذئر النساءُ، وساءت أخلاقهن على أزواجهن.

فقال عُمَرُ بنُ الخطاب: ذئر النساءُ، وساءت أخلاقُهن على أزواجهن منذ نهيتَ عن ضربهن. فقال النبيُّ ﷺ: «فاضربوا» فضرب الناسُ نساءَهم تلك الليلة، فأتى نساءٌ كثير يشتكين الضربَ.

فقال النبيُّ ﷺ حين أصبح: «لقد طاف بآل محمد ﷺ الليلةَ سبعون امرأةً كلُّهن يشتكين الضربَ، وايم الله، لا تجدون أولئك خيارَكم». رواه الشافعي وعبد الرزاق والدارمي والحميدي وأبو داود والنسائي وابن ماجه في آخرين، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.

فذئر النساء: كثر عصيانهن.

يقول العلماء: أنه يجب التدرج في علاج عصيان الزوجة، فيبدأ بالموعظة والنصح والإرشاد، ثم ينتقل إلى الهجر في المضجع، ثم ينتقل إلى الضرب بشرط

أنه لا يكون مبرحاً، لا يسيل دماً، ولا يكسر عظماً، وإنما ضرب بسيط. حتى قال بعض العلماء: يضربها بالسواك، ومع كل ذلك فإن الضرب لا يفعله خيار الناس كما قال رسول الله ﷺ.

٦ - ومن مظاهر تلك الرحمة: أنه ﷺ لما أخبرته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن امرأة عندها أنها تقوم الليل لا تنام، رفق بها، وطلب منها الاعتدال.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: «من هذه؟» قلت: فلانة، لا تنام الليل. فقال رسول الله ﷺ: «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قلَّ». متفق عليه.

٧ - ومن مظاهر تلك الرحمة: ما يحمله قلبه الكبير من شفقة على بناته رضي الله تعالى عنهن، ومن ذلك: قيامه ﷺ لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها عند دخولها عليه، وتقبيلها وإجلاسها بمكانه أو بقربه، واحتضانه لابنته الأخرى رضي الله تعالى عنها عند النزع، ووضعها بين يديه، حتى قضت، وبكاؤه لها، ورقته عليها، ونزوله في قبرها، وبكاؤه ﷺ وهو على القبر،... الخ.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلًّا برسول الله ﷺ - في قيامها وقعودها - من فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحّب بها، ثم قام إليها فقبَّلها،

ثم أخذ بيدها، فجاء بها حتى يجلسها في مكانه،... رواه أبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي والبيهقي في آخرين، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي. وأحمد مختصراً، وأصله في الصحيحين

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ابنةً له تقضي، فاحتضنها، فوضعها بين يديه، فماتت وهي بين يديه، وصاحت أمُّ أيمن، فقال: «أتبكين عند رسول الله ﷺ؟» فقالت: ألستَ تبكي؟ قال: «إني لستُ أبكي، إنما هي رحمة، إن المؤمن بخير على كل حال، تُنزَعُ نفسُه من بين جنبيه؛ وهو يحمد الله عز وجل». رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والبزار وابن حبان برجال الصحيح، وحسنه الحافظ.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: شهدنا بنتَ رسول الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «هل فيكم من أحدٍ لم يقارف الليلة؟» فقال أبو طلحة: أنا، قال: «فانزل في قبرها». فنزل في قبرها فقبرها. رواه البخاري.

٨ - ومن رحمته ﷺ وشفقته وعطفه على النساء: أنه لم يبايعهن إلا بما يُطقن، وإذا بايعهن على أمر لقَّنَهُنَّ فيما استطعن.

فعن أميمة بنت رُقيقة رضي الله تعالى عنها قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام. فقلن: يا رسول الله، نبايعك على أن لا نشركَ بالله شيئاً، ولا نسرقَ، ولا نزني، ولا نقتلَ أولادَنا، ولا نأتيَ ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف.

فقال رسول الله ﷺ: «فيما استطعتُنَّ وأطقتُنَّ».

قالت فقلن: الله ورسولُه أرحمُ بنا من أنفسنا،... الحديث، رواه مالك والحميدي وأحمد والنسائي وابن ماجه في آخرين، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم.

٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه عليهن: أنه إذا مر بنسوة سلّم عليهن، وابتدرهن به، ولا يتعالى عليهن في ذلك.

فعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها، أن النبيَّ ﷺ مرَّ بنسوة؛ فسلّم عليهن. وقال: «إياكن وكفر المُنْعَمين». الحديث بطوله. رواه أحمد والحُميدي والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه. كفر المُنْعَمين: إنكار فضلهم.

١٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه عليهن: حثه ﷺ على العدل بين الزوجات، وإنذاره من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى، بأن له العذاب المشين يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له امرأتان، فمال مع إحداهما على الأخرى؛ جاء يوم القيامة وأَحدُ شِقَّيْه ساقطٌ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي والدارمي وابن الجارود والأربعة في آخرين، وصححه كثيرون.

١١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه عليهن: تحريجه ﷺ على الرجال حق الضعيفين أن يضيعوهما، وتحريم ظلمهما، ووجوب إعطاء المرأة حقها، لا كما كان يفعلُ أهلُ الجاهلية، يأكلون حقَّ النساء والأطفال والأيتام والعبيد.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «اللّهم إني أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين؛ اليتيم، والمرأة». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري وأقره الذهبي، وحسنه النووي.

١٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: تنبيهه ﷺ الرجال، أن أكملهم إيماناً صاحب الخلق الحسن، وأن خيرَ المؤمنين: هو الذي يحسن إلى النساء.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». رواه الدارمي والترمذي وابن حبان، في آخرين، وحسنه الحافظ.

١٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: تنبيهه ﷺ الرجال، ألّا يسارِعوا إلى بغض المرأة لمجرد كراهية أحدهم لخلق منها، فكما أن الرجل ليس كاملاً، فكذلك المرأة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خُلُقاً رضيَ منها آخر» أو قال: «غيره». رواه مسلم. لا يَفْرَك: لا يبغض.

١٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه عليهن: حثه ﷺ الرجال على مداراة النساء، لأن المرأة كثيرةُ التقلُّب، لما يعتريها من ظروف، لذا عليه أن يتعامل معها على أنها تخطئ، وليست كاملة، وأن يداريها إذا أراد سعادته.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خُلقت من ضِلَع [لن تستقيم على طريقة] فإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وبها عِوَجٌ [إن ذهبتَ تقيمُها كسرتها، وكسرُها طلاقها]». متفق عليه.

قوله ﷺ: «إن المرأة خُلقت من ضِلَع...» هذا جارٍ على لغة العرب، وهو أن المرأة من كثرة ما في فطرتها من الاعوجاج صارت كأنها مخلوقة من الضلع المعوج. وله نظير في كتاب الله تعالى، وهو مستعمل في لغة الناس إلى اليوم، أما ترى إن كان الولد كثير الحركة والشغب ماذا يقال له؟

قال الإمام الزجاج رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]-: قال أهل اللغة: المعنى خُلقت العجلة من الإنسان، وحقيقتُه يدل عليها ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] وإنما خوطبت العربُ بما تعقل. والعربُ تقول للذي يُكثر الشيءَ خُلقتَ منه. كما تقول: أنت من لعب، وخُلقتَ من لعب. تريد المبالغة بوصفه باللعب. اهـ.

فالرجل لابد له من امرأة يسكن إليها، وهو محتاج إليها، ولا يتم حسن الاستمتاع إلا بالمداراة والصبر، والله تعالى أعلم.

١٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه عليهن: شعورُه بشعور المرأة ساعة ضعفها وهوانها، وذلك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم؛ لم يخالطوها، ولم يؤاكلوها، ولم يساكنوها في البيوت، ويعزلونها عنهم، لذا أباح ﷺ معاشرةَ الحائض، بكل وجوه المعاشرة إلا الإتيان في الفراش.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم؛ لم يؤا كلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحابُ النبي ﷺ النبيَّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٢] إلى آخر الآية.

فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كلَّ شيءٍ إلا النكاحَ». فبلغ ذلك اليهودَ، فقالوا: ما يريد هذا الرجلُ أن يدعَ من أمرنا شيئاً إلا خالَفَنا فيه.

فجاء أُسيدُ بنُ حُضَير وعبَّادُ بنُ بِشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهودَ تقول كذا وكذا. فلا نجامِعُهن؟ فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ، حتى ظننّا أن قد وَجد عليهما. فخرجا، فاستقبلهما هديَّةٌ من لبن إلى النبيِّ ﷺ. فأرسل في آثارهما، فسقاهما. فعرفا أن لم يجد عليهما. رواه مسلم.

١٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: نهيُه عن أن يطرق الرجل أهلَه ليلاً يتخونهم، لذا نهى عن ذلك حتى تمتشط الشَّعِثَةُ.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قدم أحدُكم ليلاً فلا يأتين أهلَه طُروقاً، حتى تستحدَّ المُغِيبَةُ، وتمتشط الشَّعِثَةُ». متفق عليه. طُروقاً: المجيء بالليل على غفلة.

وعنه رضي الله تعالى عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يطرقَ الرجلُ أهلَه ليلاً، يتخونهم، أو يلتمسُ عثراتِهم. لفظ مسلم.

١٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: جعله حضانة الولد الصغير للأم، فإن لم يكن فلخالته، وذلك مراعاة لخاطرها، وشفقة عليها، ورحمة بها.

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فقالت: إن ابني هذا كان بطني له وعاءاً، وثديي له سقاءاً، وحِجْري له حِواءاً، وإن أباه طلَّقني، وأراد أن ينتزعه مني. فقال: «أنتِ أحقُّ به ما لم تنكحي». رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود والبيهقي والدارقطني، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

١٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: تشبيهه لهن بالقوارير، وطلبه من مولاه - أنجشة، الحادي بهن - أن يرفق بهن.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وغلامٌ أسود يقال له: أنجشة، يحدو. فقال له رسول الله ﷺ: «يا أنجشة، رُويدك، سوقاً بالقوارير». متفق عليه.

١٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: حثه الرجال على مداعبة زوجاتهم.

فعن جابر رضي الله عنه - في قصة وفاة أبيه رضي الله عنه، وتركه سبع أو تسع بنات، وفيه - فقال لي رسول الله ﷺ: «تزوَّجتَ يا جابر؟» فقلتُ: نعم. فقال: «بكراً أم ثيِّباً؟» قلت: بل ثيِّباً. قال: «فهلّا جارية تلاعبُها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»... الحديث بطوله، متفق عليه.

٢٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: نهيه عن تخبيب المرأة على زوجها، لأن في ذلك إفسادَ ذات البين، وخرابَ البيوت، ونكداً للمرأة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من خبَّب عبداً على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم، وأقره الذهبي. التخبيب: هو نقل كلام مفترى أو مبالغ فيه بين طرفين بقصد الإفساد.

٢١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: أنه ﷺ لم يغفل النساء من وعظه وتذكيره، فقد خصّص لهن يوماً أتاهن فيه. وعلّمهن فيه أحكام دينهن، كما كان يفعل ذلك في صلاة العيد، حيث يأتيهن ويعلمهن بعد خطبته للرجال.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: يا رسول الله، غَلَبنا عليكَ الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسِك، فوَعَدَهن يوماً، لقيَهنَّ فيه، فوعظهن، وأمرهن، وكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تُقدِّمُ ثلاثةً من ولدِها إلا كان ذلك لها حجاباً من النار» فقالت امرأة: يا رسول الله، واثنين؟ قال: «واثنين». متفق عليه.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أشهد على رسول الله ﷺ لصلّى قبل الخطبة، قال: ثم خطب، فرأى أنه لم يُسمع النساء، فأتاهن، فذكَّرهن، ووعظهن، وأمرهن بالصدقة.

وفي رواية: حتى جاء النساء، ومعه بلال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة:٢١]. فتلا هذه الآية حتى فرغ منها، ثم قال حين فرغ منها: «أنتن على ذلك؟» فقالت امرأة واحدة - لم يُجبه غيرُها منهن -: نعم يا نبي الله، لا يُدرى حينئذ من هي،... الحديث، متفق عليه.

٢٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: جعله للأم ثلاثةَ أمثال ما يستحقّه الأب من البر والإحسان.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «ثم أُمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثم أُمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك». متفق عليه. وله ألفاظ أخرى.

٢٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء، وعطفه وشفقته عليهن: نهيه عن قتل نساء الكفار أثناء الحرب - إلا إذا باشرن القتال -.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وُجدت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان. متفق عليه.

الباب السابع
رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن

لقد كانت المرأة في الجاهلية لا وجود لها ولا قيمة، كانت توأد (تدفن وهي حية) وهي صغيرة – في عدد من القبائل العربية -. ولا يرون لها وجوداً ولا يجوز أنه تشارك زوجها بإبداء رأي ينفعه.

فلما جاء النبي المصطفى الكريم ﷺ نبيُّ الرحمة والشفقة والود والحنان، غيّر المفاهيم، وبدَّل القيم، فمنح الزوجة حياتَها، وأعاد إليها إنسانيتَها، وأعطاها من الحقوق ما لا تحلم به، وطبّق ﷺ ذلك بنفسه قبل أن يأمر به، فاجتمع الفعل والقول.

فصار للمرأة الوجود والاعتبار والحياة والرأي والمشورة والاستفسار والنصح، كما ظهر عليها: الود والمحبة والعطف،...

حتى صارت الزوجة تملك من المزح معها حتى حرية الرأي، وقد ظهر ذلك كله من رحمته ﷺ التي شملتهم بالعطف والحنان والشفقة والإحسان،... وصارت راعيةً في بيتها، وهي مسؤولة عن رعيتها.

١ - فمن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أنه إذا كان في البيت كان في حاجتهن، ولا يكلفهن بقضاء أموره، فهو يرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويفلي ثوبه، ويخدم نفسه - بأبي هو وأمي -.

فعن عروة رحمه الله تعالى قال: قلت لعائشة - رضي الله تعالى عنها - ما كان يصنعه رسول الله ﷺ في بيته؟ فقالت: كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويرقع دلوَه، ويعمل ما يعمله الرجال في بيوتهم. رواه أحمد وابن سعد، والبخاري في الأدب المفرد وعبد بن حُميد وأبو يعلى وصححه ابن حبان.

وعن الأسود رحمه الله تعالى قال: سألتُ عائشة: ما كان النبيُّ ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني: خدمةَ أهله - فإذا حضرت الصلاةُ خرج إلى الصلاة. رواه البخاري.

٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أنه إذا دعاه أحدٌ على طعامٍ - وهو يمون عليه (يملك تأثيراً عليه) - يحرص أن تكون أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها معه.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسيّاً، كان طيّبَ المرق، فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه. فقال: «وهذه؟» لعائشة. فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «لا» فعاد يدعوه. فقال رسول الله ﷺ: «وهذه؟» قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «لا» ثم عاد يدعوه. فقال رسول الله ﷺ: «وهذه؟» قال: نعم، في الثالثة. فقاما يتدافعان [أي يمشي أحدُهما في إثر الآخر] حتى أتيا منزلَه. رواه مسلم.

وكان هذا الحديث قبل نزول آية الحجاب.

٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أنه إذا أراد الغزو أقرع بين نسائه، فمن خرج سهمها خرج بها معه.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتُهن خرج سهمُها خرج بها معه. وكان يقسم لكل امرأة منهن يومَها وليلتَها، غير أن سودةَ بنتَ زمعة وهبت يومها وليلتَها لعائشة زوج النبيّ ﷺ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ. رواه البخاري.

٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: تحمُّله ﷺ لهن، وقدرته على التوفيق بينهن.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن نساء رسول الله ﷺ كنَّ حزبين؛ حزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزبُ الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ،... الحديث بطوله، وفيه تحري الناس إرسال هداياهم يومَ عائشة رضي الله تعالى عنها، وتكليم النبي الكريم ﷺ بذلك. رواه البخاري.

٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أن الله تعالى أحلّ له - في آخر حياته - أن يتزوج من النساء ما شاء. لكنّه ﷺ لم يتزوّج عليهن، لتبقى المِنَّةُ لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ عليهن.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى حَلَّ له من النساء ما شاء. رواه الشافعي وعبد الرزاق والحميدي وابن أبي شيبة وأحمد وإسحق والنسائي والطحاوي، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، ورواه آخرون.

٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: اصطحابه ﷺ لهن معه إلى الحج، ولم يتخلّف منهن واحدة، وكأنه ﷺ أراد توديعهن، لذا أحبَّ أن يُكرموا بأداء النسك بمعيته ﷺ، وأمرهن أن يتحلَّلن بعد السعي، لعدم سوقهن الهدي، أسوة ببقية المسلمين، لذا نحر عنهن.

فعن السيدة حفصة رضي الله عنها، أن النبيَّ ﷺ أَمر أزواجَه أن يَحْلُلْنَ عامَ حجة الوداع. قالت حفصة: فقلت: ما يمنعك أن تَحِلَّ؟ قال: «إني لبَّدتُ رأسي، وقلّدْتُ هديي، فلا أحِلُّ حتى أنحرَ هديي». متفق عليه.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال: نحر رسول الله ﷺ عن نسائه. رواه مسلم.

٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أنه كان يقسم بينهن في المبيت والعشرة وكل ما يملكه الإنسان، اللّهم إلا ما لا يملكه، لذا نبَّه ﷺ إليه.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَقسم بين نسائه، فيعدل، ثم يقول: «اللّهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك». رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي والأربعة، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، وصححه ابن كثير.

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضنا على

بعض في القَسْم، من مكثه عندنا، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يطوف علينا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها، فيبيتُ عندها،... الحديث، وفيه قصة سودة رضي الله تعالى عنها، رواه أبو داود، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، ورواه البيهقي، وهو على شرط مسلم.

٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: شفقته ﷺ عليهن إذا بالغْنَ في العبادة، كما في قصة الحبل الذي ربطته زينب رضي الله تعالى عنها، بين ساريتين في المسجد، فإذا تعبت تعلَّقت به.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجدَ، وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: لزينبَ تُصلّي، فإذا كسِلت أو فترت أمسكت به. قال: «حُلُّوه» ثم قال: «لِيُصلِّ أحدُكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر، فليقعد». متفق عليه.

٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: طلبه ﷺ من عائشة رضي الله تعالى عنها - وهما في السفر - أن تسابقه، بعد أن طلب من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن يتقدّموا. وقد تكرّر ذلك الطلب.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرجت مع رسول الله ﷺ - في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدّن - فنزلنا منزلاً، فقال للناس: «تقدَّموا» فتقدّموا، ثم قال لي: «تعالَي حتى أسابقَكِ» فسابقته، فسبقته.

فسكت عني، حتى إذا حملتُ اللحمَ وبدّنتُ ونسيتُ، خرجت معه في بعض أسفاره آخر، فنزلنا منزلاً، فقال للناس: «تقدَّموا» فتقدّموا، ثم قال لي: «تعالَي حتى أسابقَكِ» فسابقته، فسبقني، جعل يضحك [فضرب بيده كتفي] وهو يقول: «**هذه بتلك**». رواه الشافعي والطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وإسحق وأبو داود والنسائي وابن ماجه في آخرين، وصححه ابن حبان وغيره.

وهذا من كرم خلقه ﷺ وحسن عشرته، وجميل مودَّته.

١٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: تحمُّله ﷺ لما يصدر من غيرتهن رضي الله تعالى عنهن. خاصة من السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيُّ ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبيُّ ﷺ فِلقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمُّكم» ثم حبس الخادمَ، حتى أتى بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفةَ الصحيحةَ إلى التي كُسرت صحفتُها، وأمسك المكسورةَ في بيت التي كسرت فيه. رواه البخاري.

١١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: تحريمه ﷺ على نفسه بعضَ ما أحله الله تعالى له من أجل إرضائهن.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن النبيَّ ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جَحْش، ويشرب عندها عسلاً، قالت: فتواصيتُ أنا وحفصة، أنَّ أيتَنا دخل عليها النبيُّ ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريحَ مغافير، أكلتَ مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له. فقال: «لا بأس، شربتُ عسلاً عند زينب ابنةِ جَحْشٍ، ولن أعود له» فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم:١] - إلى - ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التحريم:٤] لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم:٣] لقوله: «بل شربت عسلاً». متفق عليه.

مغافير: عسل حلو له رائحة كريهة.

١٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أنه لم يكن جافّاً ولا خشناً - بأبي هو وأمي - بل كان يمزح معهن، بل كان يسمح بمزح بعضهن مع بعض، ويضحك لما يفعلن ببعضهن.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: زارتنا سودةُ يوماً، فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها، إحدى رجليه في حِجْري، والأخرى في حِجْرها، فعملتُ لها حريرةً - أو قال: خزيرةً - فقلت: كُلي. فأبت، فقلت: لتأكلي، أو لأُلطِّخن وجهَك. فأبت، فأخذتُ من القصعة شيئاً، فلطَّخْتُ به وجهَها، فرفع رسول الله ﷺ رجلَه من حِجْرها، تستقيدُ مني، فأخذَتْ من القصعة شيئاً فلطَّخَتْ به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك. فإذا عمر يقول: يا عبد الله بنَ عمر، يا عبد الله بنَ عمر، فقال لنا رسول الله ﷺ: «قوما، فاغسلا وجوهَكما، فلا أحسب عُمرَ إلّا داخلاً». رواه النسائي.

١٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: استئذانه ﷺ منهن في مرض وفاته، أن يمرَّضَ في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها.

فعن عُبيد الله بنِ عبد الله بن عُتبة رحمه الله تعالى، أن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، استأذن أزواجَه في أن يُمرَّض في بيتي. فأذِنَّ له، فخرج النبيُّ ﷺ بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباس [بن عبد المطلب] ورجل آخر.

قال عُبيد الله: فأخبرتُ عبد الله بنَ عباس [بالذي قالت عائشة] فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: هو علي. متفق عليه.

١٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: مراعاته لشعور الصغيرات منهن، لذا كان يسمح لعائشة اللعب بالبنات.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبيِّ ﷺ، وكان لي صواحبُ يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقَمَّعْنَ منه، فيُسَرِبُهنّ إليَّ، فيلعبنَ معي. متفق عليه. يتقَمَّعْنَ: يدخلن خلف الستر.

١٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: سماحه ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنها أن ترى لعبَ الحبشة، لأنها كانت صغيرة، وتُسرُّ بالنظر إلى اللعب.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: والله، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يقوم

على باب حجرتي - والحبشةُ يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ - يسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي، حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدُروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السن، حريصةً على اللهو. متفق عليه.

١٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: إباحته ﷺ معاشرة الحائض، كالنوم معها في الفراش.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنتُ أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبيَّ ﷺ، فيضع فاه على موضع فِيَّ، فيشرب. وأتعرَّقُ العَرْقَ [هو العظم الذي عليه بقية لحم] وأنا حائض، ثم أناوله النبيَّ ﷺ، فيضع فاه على موضع فِيَّ. رواه مسلم.

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض، فيقرأ القرآن. رواه مسلم.

١٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: غضّه ﷺ الطرف عن رفع أصواتهن رضي الله عنهن بحضرته، وعدم مؤاخذتهن به.

فعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - يستأذن على النبيِّ ﷺ، فسمع عائشة وهي رافعةٌ صوتَها على رسول الله ﷺ، فأذن له، فدخل، فقال: يا ابنةَ أم رومان، [فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها] وتناولها، ترفعين صوتَك على رسول الله ﷺ! فحال النبيُّ ﷺ بينه وبينها [فأمسكه رسول الله

ﷺ، وجعل يحجزه] فلما خرج أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - جعل النبيُّ ﷺ يقول لها – يترضّاها -: «ألا ترين أني قد حُلتُ بين الرجل وبينك».

قال: ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه، فوجده يضاحكها. قال: فأذن له، فدخل. فقال له أبو بكر: يا رسول الله، أشركاني في سِلْمكما، كما أشركتماني في حربكما. [فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلنا»]. رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطحاوي والبزار برجال الصحيح، وصححه الحافظ.

١٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: غضّه ﷺ الطرف عن غضب عائشة رضي الله تعالى عنها، لأن الدافع لها هو الغيرة، وأن غضبها عليه هو هجران اسمه الشريف لا غير.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلمُ إذا كنتِ عني راضيةً، وإذا كنتِ عَلَيَّ غضبي» قالت فقلت: ومِنْ أين تعرفُ ذلك؟ قال: «أمّا إذا كنتِ عنّي راضيةً فإنكِ تقولين: لا، وربِّ محمد. وإذا كنتِ غضبي قلتِ: لا، وربِّ إبراهيم» قالت قلت: أجل، والله، يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمَك. متفق عليه.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: إنما اغتفرت مغاضبة عائشة للنبي ﷺ - مع ما في ذلك من الحرج - لأن الغضب على النبيّ ﷺ معصية كبيرة - لأن الحامل لها على ذلك: الغيرة التي جُبلت عليها النساء، وهي لا تنشأ إلّا عن فرط المحبة، فلما كان الغضب لا يستلزم البغض اغتُفِر، لأن البغض هو الذي يفضي

إلى الكفر أو المعصية، وقد دلَّ قولُها: (لا أهجر إلّا اسمَك) على أن قلبَها مملوء بمحبته ﷺ. اهـ.

١٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: عدم مؤاخذته ﷺ لهن عند مراجعة إحداهن رضي الله تعالى عنهن له.

فعن أم مبشّر رضي الله تعالى عنها، أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخلُ النارَ - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى، يا رسول الله، فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:١٧] فقال النبيُّ ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٢٧]» رواه مسلم.

٢٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أنه ﷺ ما ضرب خادماً ولا امرأة منهن مهما فعلت. بل كان يحلم عليهن ويصبر.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلّا أن يجاهدَ في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقمَ من صاحبه، إلّا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله، فينتقمَ لله عز وجل. رواه مسلم.

٢١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: ادخاره مما يأتيه النفقةَ لهن مؤونة السنة، وما زاد جعله في سبيل الله تعالى.

فعن عُمر رضي الله تعالى عنه قال: كانت أموالُ بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ، مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصَّةً، وكان ينفق على أهله نفقةَ سنته [وفي رواية: ويحبس لأهله قوتَ سنتهم] ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُراع، عُدَّةً في سبيل الله. متفق عليه. الكُراع: الخيل والإبل.

٢٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: أمره ﷺ عبد الرحمن بإعمار عائشة رضي الله تعالى عنهما. عندما ظنت أنها ترجع بأجر واحد دون صويحباتها.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها - في قصة حجتها مع رسول الله ﷺ، وفيه - قالت: يا رسول الله، أيرجع الناس بأجرين وأرجعُ بأجر؟

فأمر عبدَ الرحمن بنَ أبي بكر أن ينطلق بها إلى التنعيم، قالت: فأردفني خلفه على جملٍ له. قالت: فجعلتُ أرفع خماري، أحسره عن عنقي، فيضرب رِجْلي بعِلَّةِ الراحلة. قلت له: وهل ترى من أحد؟ قالت: فأهللت بعمرة. ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ، وهو بالحَصبَةِ. متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. المحصّب: وهو موضع بمكة.

٢٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: مرافقته ﷺ السيدة صفية رضي الله تعالى عنها إلى باب المسجد عندما جاءته تزوره وهو معتكف في المسجد، فلم يتركها تذهب وحدها لبعد بيتها، ولظلمة الليل، لذا وقف بباب المسجد حتى تأنس به.

فعن صفية بنت حُيي - أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها، أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدَّثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلبُ. فقام النبيُّ ﷺ يَقلبُها، حتى إذا بلغت بابَ المسجد - عند بابِ أمِّ سلمة - مر رجلان من الأنصار، فسلّما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبيُّ ﷺ: «على رِسلِكما، إنما هي صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ» فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبُر عليهما. فقال النبيُّ ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً». متفق عليه.تنقلب : تعود إلى بيتها.

٢٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: استئذانه ﷺ السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن يصلي من الليل، ويعبد ربَّه تعالى.

فعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى قال: دخلت أنا وعُبيد بنُ عُمير على عائشة رضي الله تعالى عنها،... فقال عُبيد بنُ عُمير: حدِّثينا بأعجب شيءٍ رأيتِه من رسول الله ﷺ؟ فبكت، ثم قالت: [كلُّ أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي، حتى إذا دخل معي في لحافي، وألزق جلدَه بجلدي قال:] يا عائشة، ذريني أتعبَّد الليلة لربي» قلت: والله إني لأُحبُّ قربَك، وأحبُّ ما يسرُّكَ. قالت: فقام فتطهَّر، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجرَه، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرضَ.

وجاء بلالٌ يُؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غَفر

الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت عليَّ الليلةَ آياتٌ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩٠] الآية». رواه أبو الشيخ والأصبهاني وآخرون، وصححه ابن حبان، وهو على شرط مسلم.

٢٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: مسحه ﷺ دموع صفية رضي الله عنها، عندما بكت وهي راكبة على جمل بطيء.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت صفية - رضي الله تعالى عنها - مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان ذلك يومَها، فأبطَتْ في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي، وتقول: حملتني على بعير بطيءٍ. فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها، ويُسكِّتُها، فأبت إلا بكاء،... الحديث بطوله، وفيه قصة هبتها يومها لعائشة وإرضائه ﷺ. رواه النسائي.

٢٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن: منعه ﷺ أبا بكر وعمر أن يضربا عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحدٍ منهم، فأُذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له. فوجد النبيَّ ﷺ جالساً، حوله نساؤه، واجماً ساكناً. قال: فقال: لأقولن شيئاً أُضحك النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، لو رأيتَ بنتَ خارجةَ سألتني النفقةَ فقمتُ إليها فوجأتُ عنقَها. فضحك رسول الله

ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى، يسألنني النفقةَ» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقَها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقَها، كلاهما يقول: تسألن رسولَ الله ﷺ ما ليس عنده؟ [فنهاهما رسول الله ﷺ عنهما] فقلن: والله، لا نسألُ رسولَ الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده،... الحديث بطوله، رواه مسلم. وما بين المعكوفتين فمن أحمد والنسائي.

الباب الثامن
رحمته ﷺ بالأطفال والصغار

لا أعلم في البشرية أرحم بالأطفال والصغار من رسول الله ﷺ، وقد ظهرت رحمته ﷺ وعطفه وحنانُه وشفقتُه ولطفُه،... بهم بمظاهر كثيرة جدّاً، من محبةٍ، وتقبيل، وشمٍّ، وحمل، وإجلاسٍ في الحِجر، وإركابٍ على الظهر، وإردافٍ على الراحلةِ، وتبريكٍ، وملاطفةٍ، ومداعبةٍ، وسلامٍ عليهم، وإجلاسٍ على السفرة، وحسنِ استقبال لهم،...

١ - فمن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: إخباره بأن الذي لا يَرحم لا يُرحم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسنَ بنَ عليٍّ، وعنده الأقرع بنُ حابس التميمي جالساً. فقال الأقرعُ: إن لي عشرةً من الوَلَد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم». متفق عليه.

٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: أنه ﷺ أرحم خلق الله تعالى بهم.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت أحداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق

ونحن معه، فيدخلُ البيتَ وإنه ليدَّخَن، وكان ظئرُه قَيناً، فيأخذه فيقبله. ثم يرجع. متفق عليه، واللفظ لمسلم.

ظئرُه: زوج مرضعته قَيناً: حدّاداً.

٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: أنه ﷺ كان يحمل بعض الأولاد في الصلاة - سواء ابتداء كحمله البنت، أو يرتحله الولد وهو في الصلاة -.

فعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان يصلّي، وهو حاملٌ أُمامةَ بنتَ زينبَ بنتِ رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. متفق عليه.

وقد استنبط بعضُ العلماء من فعله ﷺ: عظم قدر رحمة الولد، لأنه: تعارض حينئذ: المحافظةُ على المبالغة في الخشوع، والمحافظة على مراعاة خاطر الولد، فقدّم الثاني.

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يصلي، والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعدهما الناس، فقال ﷺ: «دعوهما، بأبي هما وأمي، من أحبني فليُحبَّ هذين». رواه ابن أبي شيبة والنسائي والطبراني والبزار وأبو يعلى، وصححه ابن حبان.

٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: أنه ﷺ كان يدعو لهم بالتحبيب، بأن يحبهم الله تعالى، ويحب من يحبُّهم أيضاً.

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت النبيَّ ﷺ، والحسن بن عليٍّ على عاتقه، يقول: «اللّهم إني أحبُّه فأحبَّه». متفق عليه.

وعن أسامة بنَ زيد رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ، أنه كان يأخذه والحسن، فيقول: «اللّهم أحبّهما فإني أحبُّهما». رواه البخاري.

٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: حمله ﷺ لهم وصعوده بهم على المنبر.

فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر، والحسنُ بنُ عليٍّ إلى جنبه، وهو يُقبِل على الناس مرةً وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». رواه البخاري.

٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: إجلاسه ﷺ لهم في حجره وعلى فخذه، وتبريكُه عليهم، وتحنيكُه لهم.

فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجتُ وأنا متمٌّ، فأتيتُ المدينةَ، فنزلتُ قُباء، فولدت بقباء [ففرحوا به فرحاً شديداً، لأنه قيل لهم: إن اليهودَ قد سحرتكم فلا يولد لكم] ثم أتيتُ به رسول الله ﷺ، فوضعتُه في حِجره، ثم دعا بتمرةٍ فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أولَ شيء دخل جوفَه: ريقُ رسول الله ﷺ، ثم حنَّكه بالتمرة، ثم دعا له وبرَّك عليه. فكان أولَ مولود وُلد في الإسلام. متفق عليه.

وعن يوسف بن عبد الله بن سَلام رضي الله تعالى عنهما قال: سمّاني رسول الله ﷺ يوسفَ، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي [ودعا لي بالبركة]. رواه الحميدي وأحمد والترمذي والطبراني بإسناد صحيح.

٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: إتيان المسلمين - من مهاجرين وأنصار رضي الله تعالى عنهم - إلى رسول الله ﷺ بأولادهم بعد ولادتهم؛ ليبرّك عليهم، ويدعو لهم، وإن كانوا مرضى، فإنه ﷺ يدعو لهم بالشفاء، ويسمّيهم.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالصبيان، فيُبرّك عليهم، ويُحنّكهم. متفق عليه.

وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله تعالى عنه قال: وُلِد لي غُلامٌ،

فأتيتُ به النبيَّ ﷺ، فسمّاه إبراهيم، وحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ. وكان أكبر ولد أبي موسى. متفق عليه.

٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: عدم انزعاجه لو بال أحدهم على ثوبه أو في حجره، بل لو أن أحد الحاضرين آذى الطفل عنّفه، وأنه آذى رسول الله ﷺ لإيذائه الطفل، لأنه لا يدرك آنذاك.

فعن أم قيس بنت محصن رضي الله تعالى عنها، أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعامَ إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حِجْره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه، ولم يغسله. متفق عليه.

٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: مبايعته لهم إذا كانوا مميزين، واعتذاره ﷺ عن مبايعتهم إذا كانوا دون ذلك، مع دعائه لهم.

فعن أسماء رضي الله تعالى عنها - في قصة ولادة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما -.

ثم جاء، وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسولَ الله ﷺ، وأمره بذلك الزبيرُ. فتبسّم رسولُ الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه. ثم بايعه. رواه مسلم.

١٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: سماحه ﷺ لهم بالنظر أو باللعب بخاتم النبوة الموجود بين كتفيه.

فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال: ذهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وجِعٌ، فمسح ﷺ على رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربتُ من وَضوئه، وقمت خلف ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه، فإذا هو مثل زِر الحجلة. متفق عليه.

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله تعالى عنهما قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ مع أبي، وعليَّ قميصٌ أصفرُ، فقال رسول الله ﷺ: «سَنَهْ سَنَهْ» - وهي بالحبشية: حسنة - قالت: فذهبت ألعبُ بخاتم النبوَّةِ، فزَبَرني أبي، قال رسول الله ﷺ: «دعها»... الحديث، رواه البخاري.

١١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان: إعطاؤه ﷺ أولَ الثمر لمن حضر منهم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان الناسُ إذا رأوا أولَ الثَّمَرِ جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللّهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا ومُدّنا، اللّهم إن إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيُّك، وإني عبدُك ونبيُّك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة، بمثل ما دعاك به لمكة، ومثلِه معه» قال: يدعو أصغرَ وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر. رواه مسلم.

١٢ - ومن رحمته ﷺ بالأطفال والولدان: دعوته ﷺ لهم أن يأكلوا معه. وهذا غير مألوف في تلك البيئة في ذلك الوقت، بل حتى في كثير من بيئاتنا في هذا الزمان.

فعن عُمَر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما، أنه دخل على رسول الله ﷺ وعنده طعام [وكانت يدي تطيش في الصحفة] فقال: «ادن يا بني، فَسَمِّ الله تعالى، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك». متفق عليه.

١٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: ملاطفته لهم عند الإنكار عليهم، ووقوعهم في خطأ.

فعن أبي جُبير رافع بن عَمْرٍ والغفاري رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ وأنا غلامٌ أرمي بنخل الأنصار، فقيل للنبي ﷺ: إن ههنا غلامٌ يرمي نخلَنا - أو يرمي النخل - فأُتِيَ بيَ النبيَّ ﷺ. فقال: «يا غلام، لِمَ ترمي النخلَ؟» فقلت: آكل. فقال: «لا ترم النخل، وكُلْ مما سقط في أسافلها» قال: ثم مسح رأسي، وقال: «اللّهم أشبع بطنَه». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي وصححه، وابن ماجه والحاكم والبيهقي.

١٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: مداعبته ﷺ لهم، وقربه منهم.

فعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: عقلت من النبيِّ ﷺ مجةً مجَّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين، من بئر كانت في دارهم. رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لي أخٌ يقال له أبو عُمير - قال: أحسبه كان فطيماً - قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه، قال: «يا أبا عُمير ما فعل النُّغَير» قال: فكان يلعب به. متفق عليه. النغير: طائر صغير.

١٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: سلامُه ﷺ عليهم إذا مرَّ بهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار، ويسلّم على صبيانهم، ويمسح رؤوسَهم، ويدعو لهم. رواه النسائي والبزار في آخرين بإسناد صحيح، وصححه البغوي وابن حبان.

وعنه رضي الله تعالى عنه، أنه مر على صبيان فسلَّم عليهم، ثم حدَّث أن رسول الله ﷺ مر على صبيان فسلَّم عليهم. متفق عليه.

١٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: تلبيسه بيده الشريفة لبعض الأطفال الصغار، ما يهبه لهم.

فعن أم خالد بنت خالد رضي الله تعالى عنهما قالت: أُتي النبيُّ ﷺ بثيابٍ، فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: «من ترون أن نكسوَ هذه؟» فسكت القومُ. قال: «ائتوني بأم خالد» فأُتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده، فألبسها، وقال: «أبلي وأَخلِقي» وكان فيها علَمٌ أخضر أو أصفر، فقال: «يا أمَّ خالد هذا سناه» وسناه بالحبشية. رواه البخاري.

١٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: عدم إنكاره ﷺ عليهم فيما إذا لم ينفِّذوا ما أمرهم به، أو نهاهم عنه.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين [في السفر والحضر] والله، ما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا، ولا لشيءٍ لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا، وكان رسول الله أحسنَ الناس خُلُقاً. متفق عليه.

١٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: استقباله ﷺ بهم إذا قدم من سفر، فيفرح بهم، ويردف بعضهم معه على الراحلة.

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّي بصبيان أهل بيته. قال: وإنه قدم من سفر، فسُبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابْنَيْ فاطمة، فأردفه خلفه [إمّا بالحسن وإمّا بالحسين] قال: فأُدخلنا المدينةَ ثلاثة على دابّة. رواه مسلم.

١٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: بكاؤه ﷺ على الأطفال إذا ماتوا، أو كانوا في النزع، رحمة لهم.

فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: كنا عند النبيّ ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أن صبيّاً لها - أو ابنا - لها في الموت، فقال للرسول: «ارجع إليها، فأخبرها: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمى، فمُرها فلتصبر ولتحتسب» فعاد الرسولُ فقال: إنها قد أقسمت لتأتينَّها. قال: فقام النبيُّ ﷺ، وقام معه سعدُ بنُ عبادة. ومعاذ بن جبل، وانطلقتُ معهم، فرُفع إليه الصبيُّ، ونفسُه تقعقع كأنها في شَنَّةٍ. قال: ففاضت عيناه، فقال له سعدُ: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». متفق عليه. تقعقع كأنها في شَنَّةٍ: صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية.

٢٠ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: مجُّه ﷺ دمَ أسامةَ بنِ زيد رضي الله تعالى عنهما عندما عثر فشُجَّ وجهه، ثم ملاطفته له.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: عثر أسامة بعتبة الباب، فشج في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «أميطي عنه الأذى» فتقذَّرتُه. فجعل رسول الله ﷺ يمصُّه ويمجُّه. ثم قال: «لو كان أسامةُ جاريةً لحلَّيناه وكسوناه حتى ننفقه». رواه ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في آخرين، وصححه ابن حبان والحافظ العراقي. وله روايات أخرى.

٢١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: تعليمه ﷺ إياهم الأحكام الشرعية، من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق،...

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام؛ إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظكَ، احفظ الله تجده تجاهكَ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ، وجَفَّت الصحف». رواه أحمد وابن السني وأبو نعيم والطبراني وعبد بن حميد والآجري، وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي.

٢٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: تخفيفه صلاة الجماعة إذا سمع بكاء الصبي، مع أنه ﷺ دخل فيها وهو يريد إطالتها.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأدخلُ في الصلاة وأنا أريد إطالتَها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوَّز في صلاتي، مما أعلم من شدة وَجْدِ أمِّه ببكائه». متفق عليه.

٢٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: إنكاره ﷺ على من تؤذي ولدَها بعلاج العُذْرة، وحثه ﷺ لهن على استعمال العود الهندي.

فعن أم قيس بنت محصن رضي الله تعالى عنها، أنها أتت رسول الله ﷺ بابن

لها لم يبلغ أن يأكل الطعام، وقد أَعْلَقت عليه من العُذْرَة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «علامه تَدْغَرْن أولادكنَّ بهذا الإعلاق؟ عليكم بهذا العود الهندي [يعني: الكُسْتَ] فإن فيه سبعةَ أشفيةٍ، منها ذاتُ الجنب - زاد في رواية: يُسعط من العُذْرة، ويُلَدُّ من ذات الجنب». رواه مسلم.

وذلك أن الأولاد يصابون بوجع في الحلق يهيج من الدم، أو غدة تخرج بين الحلق والأنف، وكانوا يعالجونها بأن تأخذ المرأة خرقةً فتفتلها فتلاً شديداً، وتدخلها في أنف الصبي، وتطعن ذلك الموضع فيتفجّر منه دمٌ أسود، وربما أقرحته، ويسمى ذلك دغراً وغدراً. فحثّهم ﷺ على عدم تعذيب الصبي، وعلى استعمال العود الهندي ففيه العلاج. والله تعالى أعلم.

٢٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: حثُّه ﷺ على رحمة الصغير، وتشديدُه على عدم ذلك.

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يعرف حقَّ كبيرنا، ويرحم صغيرَنا». رواه أحمد والحُميدي وابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، وصحَّحه الترمذي والحاكم والإمامُ النووي، وأقره الذهبي، وحسنه العراقي.

٢٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: حثه ﷺ على العناية بالبنات، وأن الإحسان إليهن لا يقابله ثواب إلّا الجنة، ورضوان الله تعالى، ولا نعرف قيمة هذه الوصية إلا إذا عرفنا حال البنت في الجاهلية.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غيرَ تمرة واحدة، فأعطيتها، فَقَسَمَتْها بين ابنتَيها [ولم تأكل منها شيئاً] ثم قامت فخرجت، فدخل النبيُّ ﷺ، فحَدَّثْتُه، فقال: «من يَلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن: كنَّ له ستراً من النار». متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضمَّ أصابعَه. رواه مسلم.

٢٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: رُقْيَتُه ﷺ للحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما بما كان يرقي به إبراهيمُ إسماعيلَ وإسحقَ عليهم السلام.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ يعَوِّذُ الحسنَ والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيلَ وإسحقَ، أعوذُ بكلمات الله التّامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّة». رواه البخاري.

٢٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: حثه ﷺ على العدل بين الأولاد، سواء في العطية أو غيرها، لما في التمييز بينهم من وقوع حقد وبغضاء وشحناء.

فعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما، أن أمّه بنتَ رواحة سألت أباه بعضَ الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنةً، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى

تُشهِدَ رسول الله ﷺ على ما وهبتَ لابني، فأخذ أبي بيدي، وأنا يومئذ غلام [وفي رواية: انطلق بي أبي يحملني] فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ إن أمَّ هذا بنتَ رواحة أعجبها أن أُشهِدَك على الذي وهبتُ لابنها، فقال رسول الله ﷺ: «يا بشير، ألكَ ولَدٌ سوى هذا؟» قال: نعم. فقال: «أكلَّهم وهبتَ مثلَ هذا؟» قال: لا. قال: «فلا تُشهِدني إذاً، فإني لا أشهد على جوْرٍ». متفق عليه. وله روايات متعددة.

٢٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: سماحه ﷺ بإحضار الصغار مجالسه ﷺ، سواء في المسجد للصلاة، أو لحضور درس، أو في المصلى لصلاة عيد أو جنازة أو استسقاء، أو غيرها.

لذا وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن صحابةٍ تحمَّلوا عن النبيِّ الكريم ﷺ وهم صغار، كروايات أنس وابن عباس وابن الزبير والبراء وابن عمر،... ونحوهم رضي الله عنهم؛ حيث لقوا رسولَ الله ﷺ وهم دون البلوغ.

وقد كان الصبيانُ يحضرون الصلاةَ مع رسول الله ﷺ، حتى قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه - عندما أعتم النبيُّ ﷺ ليلةً بالعِشاء ولم يخرج -: نام النساء والصبيان،... الحديث بطوله، متفق عليه.

٢٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال: نهيه عن قتل الأطفال من الكفار أثناء الحرب.

فعن الأسود بن سَرِيع رضي الله تعالى عنه قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ، ففتح الله لهم، فتناول بعضُ الناس قتْلَ الولدان، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «ما بال أقوام تجاوز بهم القتلُ حتى قتلوا الذُّرِّيَّةَ» فقال رجل: يا رسول الله، إنما هم أبناءُ المشركين؟ فقال: «ألا إن خيارَكم أبناءُ المشركين. ألا لا تُقتل الذُّرِّيَّة. كلُّ نسمة تولد على الفطرة، حتى يُعربَ عنها لسانُها، فأبواها يهوِّدانها وينصِّرانها».

رواه مسدّد وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم وابن عبد البر، وأقره الذهبي.

الباب التاسع
رحمته ﷺ بالأرامل والأيتام

لا أعلم في البشرية أرحم بالأرامل والأيتام من رسول الله ﷺ، كيف وقد جعله الله تعالى رحمةً للعالمين، وقد ظهرت رحمته ﷺ وعطفه ولطفه وحنانه وشفقتُه،... بهم بمظاهر كثيرة جدّاً.

١ - فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: اختلاف العدة والحداد عما كان عليه الحال في الجاهلية.

فعن حُميد بن نافع رحمه الله تعالى، عن زينبَ ابنة أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما قالت: سمعتُ أُمِّي أمَّ سلمة تقول: جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي تُوُفِّي عنها زوجُها، وقد اشتكت عينُها، أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا» مرتين أو ثلاثاً - كلُّ ذلك يقول: لا - ثم قال رسول الله ﷺ: «إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول».

قال حُميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينبُ: كانت المرأة إذا تُوُفِّيَ عنها زوجُها دخلتْ حِفشاً، ولبستْ شرَّ ثيابها، ولم تمسَّ طيباً، حتى تمر بها سَنةٌ، ثم تُؤتى بدابَّةٍ - حمارٍ أو شاةٍ أو طائر - فتفتضُّ به، فقلَّما تفتضُّ بشيء إلّا مات، ثم تخرج فتُعطى بعرةً فترمي بها، ثم تراجع بعدُ ما شاءت من طيب أو غيره. متفق عليه.

قال النووي: كانت المرأة في الجاهلية تعتد سنة كاملة وتقيم في بيت صغير ولا تغتسل وتلبس شرّ ثيابها. (باختصار من شرح صحيح مسلم)

٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: أن جعل ثوابَ الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وكالقائم في الليل، والصائم في النهار.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهارَ، ويقوم الليل». متفق عليه. ولفظ مسلم «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر».

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار: فليعمل بهذا الحديث، وليسع على الأرامل والمساكين؛ ليُحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله، دون أن يخطوَ في ذلك خطوة، أو ينفق درهماً، أو يلقى عدواً يرتاع بلقائه، أو ليُحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم،... الخ.

٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: ثناؤه على نساء قريش بأنهن أحنى على اليتيم في حال صغره، وجلوسها عليه، وعدم زواجها حتى يكبر.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ نساءٍ

ركبن الإبل [صالح] نساء قريش، أحناه على يتيمٍ في صغره، وأرعاه على زوجٍ في ذاتِ يده». رواه مسلم.

أرعاه: تحفظ زوجها في ماله.

٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: دخول المرأة التي جلست على أيتامها في أوائل من يدخل الجنة، بحيث إنها تكون مع النبي المصطفى الكريم ﷺ، بل إنها تبادره الدخول معه.

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أنا وامرأة سفعاء الخدَّين، امرأة آمت من زوجها [ذات منصب وجمال] فصبرت على ولدها، كهاتين في الجنة». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي، وله شواهد.

سفعاء: متغيرة لون الخدين. آمت: فقدت زوجها.

٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: مشيه ﷺ مع الأرملة والمسكين والعبد. وهذا من شدة تواضعه ورحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين.

فعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكْرَ، ويُقلُّ اللغوَ، ويُطيل الصلاةَ، ويقصُرُ الخطبةَ، وكان لا يأنف، ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له حاجتَه. رواه الدارمي والنسائي والطبراني والبغوي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: أن جعل ثوابَ كافل الأيتام - خاصة الإناث - إذا أحسن إليهن أن يكون ستراً له من النار يوم القيامة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غيرَ تمرة واحدة، فأعطيتها، فقَسَمَتْها بين ابنتيها [ولم تأكل منها شيئاً] ثم قامت فخرجت، فدخل النبيُّ ﷺ، فحدَّثتُه فقال: «من يَلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن: كنَّ له ستراً من النار». متفق عليه.

٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: إخباره ﷺ أن كافل اليتيم سيكون معه في الجنة، وفي معيته ﷺ فيها.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. رواه البخاري.

٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: إخباره ﷺ أن من ضم إليه يتيماً مسلماً، وتكفّل بطعامه وشرابه، حتى يستغني عن الناس، فقد وجبت له الجنة.

عن مالك بن الحارث رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «أيُّما مسلمٍ ضمَّ يتيماً بين أبوين مسلمَين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني، وجبت له الجنة، ومن أدرك والدَيه - أو أحدَهما - ثم لم يبرُّهما - ثم دخل النارَ بعد ذلك

فأبعده الله، وأيُّما مسلم أعتق رقبةً مسلمةً كانت فكاكَه من النار». رواه أحمد وابن المبارك وابن قانع ويعقوب وابن سعد والطبراني - بأسانيد - هو بها صحيح لغيره.

٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: تحريمه ﷺ أكلَ مال اليتيم، حتى جعله من السبع الموبقات، والعياذ بالله تعالى.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم،...» الحديث بطوله، متفق عليه.

١٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: حثُّه ﷺ على مسح رأس اليتيم، وإخباره أنها تُلِيّن القلب، مع ما يناله من كثرة الحسنات.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبه، فقال: «امسح رأسَ اليتيم، وأطعم المسكين». رواه أحمد، برجال الصحيح كما قال المنذري، ورواه عبد بن حُميد والبيهقي، وحسنه الحافظ.

١١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: تحريجه ﷺ حقَّ اليتيم، وتحذيره من ضياع حقه، وحق المرأة، لأنه لا يأنف كثير من الناس من أكل حقِّهما، لأنهما ضعيفان.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «اللّهم إني أُحرِّجُ

حقَّ الضعيفين؛ اليتيم، والمرأة». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري وأقره الذهبي، وحسنه النووي. أُحَرِّجُ: أُلحق الحرج بمن ضيّع حق المرأة واليتيم.

١٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: مزاحه ﷺ مع اليتيم، وذلك لتواضعه ورحمته ﷺ بهم، ولو كان أنثى.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كانت عند أُمِّ سُلَيم يتيمةٌ - وهي أم أنس - فرأى رسول الله ﷺ اليتيمةَ. فقال: «آنتِ هِيَهْ؟ لقد كَبِرْتِ، لا كَبِرَ سنُّكِ» فرجعت اليتيمةُ إلى أم سُليم تبكي. فقالت أُمُّ سُليم: مالَكِ يا بُنَيَّة؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبيُّ الله ﷺ أن لا يكبَر سنِّي. فالآن لا يكبر سني أبداً - أو قالت: قرني -.

فخرجت أُمُّ سُلَيم متعجِلَةً تلوث خمارها، حتى لقيت رسول الله ﷺ. فقال لها رسول الله ﷺ: «مالَكِ يا أمَّ سُلَيم؟» فقالت: يا نبيَّ الله، أدعوتَ على يتيمتي؟ قال: «وما ذاك يا أمَّ سُلَيم؟» قالت: زعَمَتْ أنك دعوتَ أن لا يكبر سِنُّها، ولا يكبر قرنها. قال: فضحك رسول الله ﷺ. ثم قال: «يا أم سُلَيم، أما تعلمين أنَّ شرطي على ربّي، أني اشترطتُ على ربي، فقلت: إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضبُ كما يغضبُ البشر، فأيما أحد دعوت عليه - من أمتي - بدعوة ليس لها بأهل؛ أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقُربةً يقربه بها منه يوم القيامة». لفظ مسلم.

١٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: أن جعل البيتَ الذي فيه يتيم يُحسن إليه هو خير بيوت المسلمين، وأما البيت الذي فيه يتيم يُساء إليه هو شر بيوت المسلمين.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسنُ إليه. وشرُّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه. وأنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» يشير بإصبعيه. رواه البخاري في الأدب المفرد وابن المبارك وابن ماجه وابن أبي الدنيا والبغوي.

١٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: حثُّه ﷺ من ولِيَ يتيماً له مال فعليه أن يعمل بماله، ويشغّلَه حتى لا تأكله الصدقة.

فعن عَبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا من وَلِي يتيماً له مال، فليتَّجر له فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة». رواه الترمذي والدارقطني والبيهقي والبغوي. الصدقة: أي الزكاة.

١٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: حثُّه ﷺ على منح اليتيم ميراثه، بخلاف ما كان سائداً في الجاهلية.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعدٍ إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك يومَ أحدٍ شهيداً، وإن عمَّهما أخذ مالَهما، فلم

يدَعْ لهما مالاً، ولا تُنكحان إلّا ولهما مال. قال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آيةُ المواريث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمِّهما، فقال: «أعط ابنتَيْ سعدٍ الثُّلُثَين، وأعط أمَّهما الثمن، وما بقي فهو لك». رواه أحمد وابن سعد وأبو داود وابن ماجه والطحاوي وأبو يعلى والدارقطني، وصحّحه الترمذي والحاكم، وأقره الذهبي.

١٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: نهيه ﷺ عن تولي مال اليتيم ممن كان ضعيفاً عن حمل الأمانة، وأن الذي يتحمَّلها هو القويُّ الأمين.

فعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تولَّيَنَّ مال يتيم». رواه مسلم.

١٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: أن أحسن إليهم، وأمر ﷺ بالإحسان إليهم، فكان ذلك سبباً في إسلام العدد الكثير من الناس.

فعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال: كنتُ مع نبيِّ الله ﷺ في مسير له، فأدلجنا ليلتنا، حتى إذا كان في وجه الصبح عرَّسنا، فغلبتْنا أعيُنُنا حتى بزغت الشمس،... ثم عجَّلني في ركبٍ بين يديه، نطلب الماء، وقد عطشنا عطشاً شديداً. أدلجنا: السير بالليل.

فبينا نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين. فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: أيْهاه، أيْهاه. لا ماء لكم. قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة. قلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ. قالت: وما رسول الله؟ فلم نملِّكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها.

فاستقبلْنا بها رسولَ الله ﷺ، فسألها فأخبرته مثلَ الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مؤْتِمَة، لها صبيان أيتام. مؤْتِمَة: أي ذات أيتام.

فأمر براويتها فأُنيخت، فمجَّ في العزلاوَين العُلياوَين. ثم بعث براويتها، فشربنا، ونحن أربعون رجلاً عطاشٌ. حتى رَوِينا، وملأنا كلَّ قِرْبَة معنا وإداوة، وغسَّلنا صاحبنا. غير أنا لم نَسْق بعيراً، وهي تكاد تنضرج من الماء [يعني المزادتَين] ثم قال: «هاتوا ما كان عندكم» فجمعنا لها من كِسَرٍ وتمْرٍ، وصَرَّ لها صُرَّةً، فقال لها: «اذهبي فأطعمي هذا عيالَك، واعلمي أنّا لم نَرْزأ من مائك».

فلما أتت أهلَها قالت: لقد لقيتُ أسحرَ البشر، أو أنه لنبيٌّ كما زعم. كان من أمره ذَيتَ وذَيتَ، فهدى الله ذاك الصرمَ بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا. متفق عليه، واللفظ لمسلم.

راويتها: بعيرها. فمجَّ: المجّ زرق الماء بالفم.

العزلاوين العلياوين : فمُ المزادة أو القربة الأعلى .

تنضرج: تنشق من كثرة الماء. نَرْزأ: لم ننقص من مائك شيئاً.

قال الشيخ خليل رحمه الله تعالى: في هذا الحديث أمور كثيرة، يهمني منها ما يلي

- المعجزة الظاهرة للنبي الكريم ﷺ في تكثير الماء، بمجرد مجِّه ﷺ في فمي القربتين الكبيرتين.

- كما فيه إحسانه ﷺ إلى هذه المرأة، وإلى أطفالها الأيتام.

- بركة هذه المرأة على قبيلتها، حيث أسلموا جميعاً نتيجة نقلها لهم ما حصل، فكانوا في صحيفتها، والله تعالى أعلم.

١٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: إخباره ﷺ أن الإنفاق على الأيتام فيه أجران: أجر الصدَّقة، وأجر الصلة للقرابة.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل لي أجرٌ في بني أبي سلمة؟ أُنفقُ عليهم، ولستُ بتاركتهم هكذا وهكذا. إنما هم بنيّ. فقال: «نعم، لك فيهم أجرُ ما أنفقت عليهم». متفق عليه.

١٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: نهيه ﷺ عن إجبار اليتيمة على التزويج، وأنها تُستأمر كما تُستأمر الثيب البالغ، فإن رضيت جاز تزويجها، وإن أبت لم تُجبر، والاكتفاء بالتعبير عن رضاها بالسكوت.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُستأمرُ اليتيمةُ في نفسها، فإن سكتت فقد أذنت، وإن أبت لم تكره». رواه الدارمي وأحمد والدارقطني والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.

وعن ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: تُوفِّي عثمانُ بن مظعون، وترك ابنةً له من خُويلة بنت حكيم بن أمية. وأوصى إلى أخيه قُدامة بن مظعون، وهما خالاي.

فخطبتُ إلى قُدامةَ ابنةَ عثمان، فزوجنيها. فدخل المغيرةُ بن شُعبةَ إلى أمها، فأرغبها في المال، فخطَّت إليه، وحطّت الجاريةُ إلى هوى أمها، فأبيا، حتى ارتفع أمرهم إلى النبيِّ ﷺ. فقال قدامةُ: يا رسول الله، ابنةُ أخي، وأوصى بها إليَّ، فزوجتُها ابنَ عُمر، ولم أقَصِّر بالصلاح والكفاءة، ولكنها امرأة، وأنها حطَّت إلى هوى أمِّها.

فقال رسول الله ﷺ: «هي يتيمةٌ، ولا تُنكحُ إلّا بإذنها» فانتُزعت مني والله بعد أن ملكتها، فزوَّجوها المغيرة بن شعبة. رواه أحمد والدارقطني والبغوي والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

٢٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: جعله خيرية المال لمن يعطي منه اليتيم والمسكين وابن السبيل، وإلا فلا خير فيه.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على

المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إن مما أخاف عليكم بعدي: ما يُفتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها».

فقال رجل: أَوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ يا رسول الله؟... الحديث، وفيه قوله ﷺ: «إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ، وإنَّ مما يُنبتُ الربيعُ يقتلُ أو يُلِمّ. إلَّا آكلةَ الخَضَر، فإنها أكلت، حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت عينَ الشمس، فثلطت وبالت، ثم رتعت، وإن هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، ونِعم صاحبُ المسلمِ هو لمن أعطى منه المسكين واليتيمَ وابن السبيل،...» الحديث بطوله، متفق عليه.

الربيعُ: الجدول الذي يسقى به الزرع. يُلِم: أي يقرب من القتل أي من كثرة الأكل. فثلطت: أخرجت.

٢١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: إخباره ﷺ أن الذي يُحسن إلى اليتيم يكون معه ﷺ في الجنة.

فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: « ...و من أحسن إلى يتيم عنده كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتَين» وفرَّق بين أصبعيه السبّابة والوسطى. رواه أحمد وابن المبارك وابن أبي الدنيا وعبد الله بن أحمد والبغوي في آخرين. وله شواهد متعددة هو بها صحيح.

٢٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام: أن أمر الله تعالى من كانت عنده يتيمة جميلة، ويرغب في جمالها ومالها، ألّا يتزوجها إلّا أن يوفّيها حقَّها من الصداق، لأن العرب كانوا إذا كانت عند أحدهم

يتيمة تشركه في ماله: فإن كانت جميلة ورغب فيها تزوجها ولم يقسط لها في المهر، وإن كانت غير جميلة ورغب عنها عضلها ولم يزوّجها لأحد ولم يتزوجها حتى لا يأتي من يشاركه في مالها. فنهوا عن ذلك.

فعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ - إلى - مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣] قالت: يا ابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليّها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص صداقَها، فنُهوا عن نكاحهن إلّا أن يُقسطوا في إكمال الصَّداق، وأُمروا بنكاح من سواهن من النساء.

قالت: واستفتى الناسُ رسول الله ﷺ بعد ذلك، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ - إلى - وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء:١٢٧] فأَنزل الله لهم: أن اليتيمةَ إذا كانت ذاتَ جمال ومال رغبوا في نكاحها ونسبها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوبةً عنها في قلة المال والجمال تركوها وأخذوا غيرَها من النساء.

قالت: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلّا أن يُقسطوا لها، ويُعطوها حقَّها الأوفى من الصّداق. متفق عليه.

الباب العاشر
رحمته ﷺ بالعبيد والإماء والخدم

لا أعلم في البشرية أرحم بالعبيد والإماء والخدم من رسول الله ﷺ، وقد ظهرت رحمته ﷺ وعطفُه وحنانه وشفقتُه ولطفه بهم،... بمظاهر كثيرة.

١ - فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن جعلهم إخواناً للمسلمين. ولكن الله تعالى جعلهم تحت أيدي الأحرار ابتلاء منه عزّ وجل، لذا يلزم الأحرار أن يعاملوهم معاملةً إنسانيةً، ولا يُشعروهم بالذِّلة والمهانة لأنهم بشر مثلهم.

فعن المعرور بن سويد رحمه الله تعالى قال: لقيتُ أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة، وعليه حُلَّة وعلى غلامه حلَّة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابتُ رجلاً فعيَّرتُه بأمه، فقال لي النبيُّ ﷺ: «يا أبا ذر، أعَيَّرتَه بأُمِّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تُكلِّفوهم ما يغلبُهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم». متفق عليه. خَوَلُكم: خدمكم.

٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن أوجب على السيد إطعامهم وإلباسهم، مما يأكل السيد ويلبس. وألّا يُكلفهم إلا بما يطيقون.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «للمملوك طعامُه وكسوتُه، ولا يُكلَّفُ من العمل إلّا ما يُطيق». رواه مسلم.

وعن خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى قال: كنا جلوساً مع عبد الله ابن عَمْرٍو، إذ جاءه قهرَمانٌ له [أي الوكيل] فدخل، فقال: أعطيتَ الرقيقَ قوتَهم؟ قال: لا. قال: فانطلق فأعطهم. قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبسَ عمَّن يملكُ قوتَه». رواه مسلم.

٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن جعل المعتدي عليهم - بالضرب مثلاً - على خطر عظيم، وهو الوقوع في نار جهنم، والعياذ بالله تعالى.

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كنت أضرب غلاماً [عبداً] لي بالسَّوْط، فسمعت مِن خلفي صوتاً: «اعلَمْ أبا مسعود، للهُ أقدرُ عليك منكَ عليه» فالتفتُ فإذا هو رسول الله ﷺ. فقلتُ: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله. فقال: «أما لو لم تفعل لَلَفَحَتْك النارُ، أو لَمَسَّتك النارُ». رواه مسلم.

٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن حرَّم ﷺ ضرب وجه العبد أو الأمة، وشدّد ﷺ في ذلك، وتغيّظ على من يفعل ذلك، وهذا وإن كان عامّاً في الأحرار والعبيد، لكنّه ﷺ ركّز على عدم ضرب العبيد على وجوههم، لأن الناسَ يستهينون في ذلك.

فعن هلال بن يَساف رحمه الله تعالى قال: عجل شيخٌ فلطم خادماً له، فقال له سُوَيْدُ بنُ مُقرِّن - رضي الله تعالى عنه -: عجز عليك إلّا حُرٌّ وجهها. لقد رأيتُني سابعَ سبعةٍ من بني مقرِّن، ما لنا خادمٌ إلّا واحدةٌ، لطمها أصغرُنا، فأمرنا رسولُ الله ﷺ أن نعتقَها. رواه مسلم.

٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن جعل عقوبة الذي يقذف عبده أو يضربه فإنه يقتص منه يوم القيامة، إلّا إذا كان ما قاله صحيحاً في حال القذف، أو أن يعفو العبدُ عن الحد.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ أبا القاسم ﷺ نبيَّ التوبة يقول: «من قذف مملوكه بالزني - وهو بريء مما قال - يُقام عليه الحدُّ يوم القيامة، إلّا أن يكون كما قال». متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضرب سوطاً ظلماً اقتُصَّ منه يوم القيامة». رواه البخاري في الأدب المفرد، والبزار والطبراني - بإسنادين حسنين -.

٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن أعطى ﷺ الحجّامَ - وهو عبدٌ - أجرتَه كاملةً، وحثَّ على الإحسان إليه، وكلّم أهلَه أن يضعوا من خراجه، وقد وضعه بنفسه ﷺ.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: احتجم رسول الله ﷺ، حجمه

أبو طَيْبَة، فأمر له بصاعين من طعام، وكلَّم أهلَه فوضعوا عنه من خَراجه، وقال: «إن أفضلَ ما تداويتم به الحجامةُ، أو إن أمثل ما تداويتم به الحجامة». متفق عليه.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: دعا النبيُّ ﷺ أبا طيبة، فحجمه، فسأله: «كم ضريبتك؟» قال: ثلاثة آصع، قال: فوضع عنه صاعاً. رواه أحمد والطيالسي والطحاوي وأبو يعلى برجال الصحيح، ورواه الطحاوي وابن حبان على شرط الصحيح أيضاً.

٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: وصيته ﷺ بالعبيد الذين يصلّون، ويؤدّون شعائرَ الإسلام.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - في قصة خروج النبي المصطفى الكريم ﷺ والتقائه بأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما - بسبب الجوع - وذهابهم إلى أبي الهيثم بن التَّيِّهان رضي الله تعالى عنه، وفي آخر الحديث: فقال النبيُّ ﷺ: «هل لك من خادم؟» قال: لا. قال: فإذا أتانا سبيٌ فائتنا، فأُتي النبيُّ ﷺ برأسين ليس معهما ثالث. فأتاه أبو الهيثم. فقال النبيُّ ﷺ: «اختر منهما» فقال: يا نبيَّ الله اختر لي.

فقال النبيُّ ﷺ: «إن المستشارَ مؤتمن، خذ هذا، فإني رأيته يُصلّي، واستوص به معروفاً».

فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأتُه: ما

أنت ببالغ حقَّ ما قال فيه النبيُّ ﷺ إلا أن تعتقه. قال: فهو عتيق،... الحديث بطوله، رواه البخاري في الأدب المفرد، والطحاوي والطبراني والبيهقي، وصححه الترمذي والحاكم. وهو حديث طويل، روى مسلم وغيرُه أجزاء منه.

٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: استجابته ﷺ لخدم المدينة بوضع يده في أوانيهم ولو في الشتاء البارد.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة: جاء خدمُ المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يدَه فيه. فربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها. رواه مسلم.

٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: ذهابه ﷺ مع الجارية منهم - وهي أمة - ليقضي لها حاجتها، ولا يأنف من ذهابه معها.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلقُ به حيث شاءت. رواه البخاري.

١٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: تحمُّلُه ﷺ ضيق خلقهم، وصبره على أذاهم، ورفع أصواتهم عليه.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقتُ معه، فناولتْه إناءً فيه شرابٌ، قال: فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يُرده، فجعلت تصخب عليه، وتذَمَّرُ عليه. رواه مسلم.

يقول الشيخ: أم أيمن رضي الله تعالى عنها مولاة له ﷺ، وهي حبشية ورثها من أبيه، وقد صبر على رفع صوتها، وغضبها، لما لها من دالِّيَّة عليه، لأنها مربيته وحاضنته، ولمكانتها الخاصة عنده ﷺ، لوفائه بها، وإكرامه لها مع أن رفع الصوت والجهر به عليه ﷺ محبط للعمل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحُجرات:٢]

١١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: استجابته ﷺ دعوة المملوك والمولى إلى الطعام، وأنه لا يأنف من الأكل عنده، وكل ذلك من تواضعه ﷺ ورحمته بالخلق.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: بعثت معي أمُّ سُلَيم (وهي أمّه) بشيءٍ من رُطبٍ في مكتل إلى رسول الله ﷺ، فلم أجده في بيته. قالوا: ذهب قريباً، فإذا هو عند خيّاطٍ - مولى له - صنع له طعاماً، فيه لحمٌ ودُبّاءٌ، قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ يُعجبه الدُّبّاءُ، فجعلتُ أضعه بين يديه. قال: فرجع إلى بيته، فوضعتُ المكتلَ بين يديه، فما زال يأكل ويقْسم حتى لم يبق في المكتل شيء. رواه الشيخان، لكن هذا لفظ أحمد وابن ماجه وأبي الشيخ وأحمد بن منيع بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان والبوصيري، ولفظ الشيخين لم يذكر كونه مولى رسول الله ﷺ.

١٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء: حثه ﷺ على إعتاق الرقبة المسلمة، لأن من أعتق رقبةً مسلمةً فقد أعتق كلُّ عضو من العبد المؤمن المعتَق عضواً من أعضاء سيده.

فعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبيِّ ﷺ في غزوة تبوك، فأتاه نفر من بني سُليم، فقالوا: يا رسول الله، إن صاحباً لنا قد أوجب. فقال رسول الله ﷺ: «أعتقوا عنه رقبةً، يَعتق الله بكل عُضوٍ منها عضواً منه من النار». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطبراني، وصححه ابن حبان والحاكم.

أوجب: يعني أنه عمل عملاً يجب له به النار، ويقال: أنه كان قتل قتيلاً.

زاد في حديث أبي نَجيح - عَمْرو بن عَبَسَة - رضي الله تعالى عنه قولَه ﷺ: «أيُّما امرأة مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً، فإن الله جل وعلا جاعلٌ وِقاء كلِّ عظم من عظام محرِّرها عظماً من عظامها من النار». رواه الطيالسي وأحمد وأبو داود بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان.

١٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: حثُّه ﷺ على الإحسان إلى الجارية وتأديبها وإعتاقها ثم تزوجها، وأن من يفعل ذلك كان له أجران، شأنه شأن العبد الذي يُؤدِّي حقَّ الله تعالى وحقَّ مواليه.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ يؤتَوْن أجرَهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتّبعه وصدَّقه، فله أجران. وعبدٌ مملوك أدّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيده، فله أجران. ورجل كانت له أَمَةٌ فغَذَاها فأحسن غِذاءَها، ثم أدَّبها فأحسن أدبَها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران». متفق عليه.

١٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: نهيُه ﷺ

الأسيادَ أن ينادوا من تحت أيديهم باسم العبد والأَمَة، وإنما بالفتوة، كما نهى ﷺ أن يخاطِب العبيدُ أسيادَهم بالربوبية، مع أنه جائز في اللغة، وهذا شامل للعبد المؤمن والكافر.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدُكم: أطعم ربَّك، وضِّئ ربَّك، اسق ربَّك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدُكم: عبدي وأَمَتي، وليقل: فتايَ وفتاتي وغلامي». متفق عليه.

١٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: حثُّه ﷺ على حسن معاملة العبيد - خاصة إذا كانوا مسلمين - وطلبه من الأسياد أن يجلسوهم معهم على المائدة، ليأكلوا معهم، فإن أبى العبيد ذلك، فليطعموهم من الطعام، ولا يجعلونهم يأكلون من بقايا القدر وفضلات الطعام.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صنع لأحدكم خادمُه طعامَه، ثم جاءه به، وقد وَلِيَ حرَّه ودخانَه، فليُقعدْه معه، فليأكلْ. فإن كان الطعام مشفوها - قليلاً - فليضع في يده أُكلةً أو أُكلتين». متفق عليه.

١٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: إخباره ﷺ أن العبد الذي يُحسن عبادة ربه عز وجل - بأن يقوم بحقِّه تعالى كما يجب - ويحسن طاعة سيده - بأن ينصح له، ويقوم بحقه كاملاً: له أجران.

فعن عبد الله بن عُمَر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبدَ إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين». متفق عليه.

١٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: حثُّه ﷺ على كثرة العفو عن العبيد والإماء ، ولو كان عدد المرات سبعين مرة في اليوم الواحد.

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة، قال: «اعفوا عنه في كلِّ يوم سبعين مرةً». رواه أبو داود والترمذي وأحمد وعبد بن حُميد وأبو يعلى، وإسناد أغلبهم صحيح، وحسنه الترمذي. ويُروى عن عبد الله ابن عَمْرو بن العاص، لكن ابن عُمَر بن الخطاب أصح، كما قال الحافظ الذهبي.

١٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: إعتاقه ﷺ العبدَ الذي مثَّل به سيدُه، وإيجاب نصرته على كلِّ مسلم.

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجلٌ مستصرخ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «ويحك مالَك؟» قال: شرٌّ، أبصر لسيده جاريةً له، فغار، فجبَّ مذاكيرَه [أي قطع ذَكَرَه] فقال رسول الله ﷺ: «علَيَّ بالرجل» فطُلب فلم يُقدر عليه، فقال: «اذهب فأنت حرٌّ» قال: يا رسول الله، على من نُصرتي؟ قال: «نُصرتك على كلِّ مسلم». رواه أبو داود وابن ماجه والطبراني، ورواه عبد الرزاق بنحوه،

وابن سعد وأحمد مطوَّلاً، وفيه وصية أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما به، وقد رووه من طرق هو بها صحيح.

١٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: وصيتُه ﷺ بهم في مرض وفاته، وقرن بينها وبين الوصية بالصلاة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة، وما ملكت أيمانُكم» حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره،... الحديث بطوله، رواه أحمد وابن سعد والنسائي وابن ماجه والطحاوي، وصححه ابن حبان والحاكم والضياء.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي تُوُفِّي فيه: «الصلاةَ، وما ملكت أيمانُكم» فما زال يقولها حتى ما يفيص بها لسانه. رواه أحمد وابن سعد ومسدَّد وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والنسائي وابن ماجه والطحاوي والبيهقي، في آخرين، بإسناد ه صحيح. يفيص: ما يقدر على الإفصاح بها.

٢٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: طلبه التخفيف عن العبيد والموالي، وأن الذي يخفِّف عنهم من العمل يكون في ميزان حسناته.

فعن عَمْرو بن حُريث رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما خفَّفتَ عن خادمك من عمله كان لك أجراً في موازينك». رواه عبد بن حُميد وأبو

يعلى وابن أبي عُمر، وصححه ابن حبان، وقال الحافظ المنذري - عن عَمْرو بن حُريث -: قال ابن معين: لم ير النبيَّ ﷺ، والذي عليه الجمهور أن له صحبة، وقيل قُبض النبيُّ ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

٢١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن جعل العبدَ الذي يؤدّي حقَّ الله تعالى وحقَّ مواليه هو أحد الثلاثة الذين يسبقون إلى دخول الجنة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرض عَلَيَّ أولُ ثلاثةٍ يدخلون الجنةَ: الشهيدُ، وعبدٌ مملوكٌ أحسن عبادةَ ربِّه، ونَصَح لسيِّده، وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال». رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد، والترمذي وحسَّنه، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصحّحه وأقره الذهبي.

٢٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أن جعل العبد المملوك راعياً في مال سيده وفي بيته، شأنه في ذلك شأن الرجل والمرأة والولد الأحرار.

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته؛ فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيته. والرجلُ راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم. والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم. والعبدُ راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه. ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته». متفق عليه.

٢٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: إفراجه عن بنت حاتم الطائي، بعد ذكرها لمناقب أبيها، مع أن علياً رضي الله تعالى عنه كان يود أن تكون في سهمه.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: لما أُتي بسبايا طيء،... الحديث، وفيه وصف بنت حاتم الطائي، ووقوفها، ومخاطبتها للنبي ﷺ

فقالت: يا محمد، إن رأيتَ أن تُخلّي عنّا، ولا تُشمت بي أحياءَ العرب، فإني ابنةُ سيد قومه، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويُشبع الجائع، ويكسو العاري، ويُقري الضيف، ويُطعم الطعام، ويُفشي السلام، ولا يرد طالبَ حاجة قط، أنا ابنةُ حاتم طيء.

فقال النبيُّ ﷺ: «يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقّاً، لو كان أبوك مسلماً لترحَّمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق، والله يحبُّ مكارمَ الأخلاق». رواه البيهقي، وابن عساكر من طريقين، هو بهما حسن.

٢٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أنه ﷺ لم يضرب خادماً قط، كما أنه ﷺ لم يضرب امرأة قط.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلّا أن يجاهدَ في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقمَ من صاحبه، إلّا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله، فينتقمَ لله عز وجل. رواه مسلم.

٢٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: أنه لم يعنّف خادماً له، سواء كان ذكراً أو أنثى، حرّاً أو عبداً.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين [في السفر والحضر] والله، ما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا، ولا لشيءٍ لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا، وكان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً. متفق عليه.

٢٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: رفقه ﷺ بمن كان يخدمه، وحرصه على مكافأته، حتى لو كانت أخروية.

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئه وحاجته، فقال لي: «سل» فقلتُ: أسألك مرافقَتَك في الجنة. قال: «أو غيرَ ذلك؟» قلتُ: هو ذاك. قال: «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود». رواه مسلم، والله تعالى أعلم.

الباب الحادي عشر
رحمته ﷺ بالضعفاء والفقراء والمساكين

إن من شمولية الرحمة بالعالمين، والرحمة المهداة من رب العالمين، وأنه ﷺ نبيُّ الرحمة، وبُعث بالرحمة،... شمولها للضعفاء والمساكين، والفقراء، وغيرهم من ضعفاء المجتمع.

وقد ظهرت مظاهر رحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين والفقراء في أمور كثيرة.

١ - فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثُّه ﷺ المسلمين على التراحم فيما بينهم، فيرحم الكبيرُ الصغيرَ، والقويُّ الضعيفَ، والعالِمُ الجاهلَ، والغنيُّ الفقيرَ،... ليقتفوا أثرَ نبيهم الرحيم ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، الصادقَ المصدوقَ أبا القاسم صاحبَ الحُجْرة ﷺ يقول: «لا تُنزعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ». رواه أحمد، والطيالسي، وابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي - وحسّنه -.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم الناسَ لا يرحمْه الله عز وجل». متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم». متفق عليه.

٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثُّه ﷺ المسلمين على الرفق فيما بينهم.

فعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من يُحرم الرفقَ: يُحرم الخيرَ». رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفقَ، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه». رواه مسلم.

٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: أنه ﷺ إذا طلبته امرأة مسكينة ضعيفة، في عقلها شيء،... فإنه يذهب معها حتى يقضي لها حاجتها التي تريد، ولا يأنف من ذلك.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. فقال: «يا أم فلان، انظري أيَّ السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتَكِ» فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها. لفظ مسلم.

وقوله: (فخلا معها في بعض الطرق) ليس المراد به الخلوة المذمومة. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: أي وقف معها في طريق مسلوك، ليقضي حاجتَها، ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في

ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره، والله تعالى أعلم. اهـ.

٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثُّه ﷺ الإمامَ في الصلاة، أن يخفّف في صلاته، لوجود الضعيف والكبير، والصغير، وذي الحاجة ... أمّا إذا صلى بمفرده فليطوِّل ما شاء له.

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيُّكم أَمَّ الناسَ فليوجز، فإن مِن ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة». متفق عليه.

٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: تحريجُه ﷺ حقَّ الضعيفين، لأن الغالب على العرب في الجاهلية: استغلال حالهما، وأكل حقوقهما.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «اللّهم إني أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين؛ اليتيم، والمرأة». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري وأقره الذهبي، وحسنه النووي. أُحرِّجُ: ألحق الحرج وهو الإثم وأحذّر من ذلك تحذيراً بليغاً.

٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثه ﷺ على السعي على الأرملة والمسكين، وبيان ثواب ذلك الساعي، وأنه كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وكالقائم لا ينام، وكالصائم لا يفطر.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهارَ، ويقوم الليل». متفق عليه. ولفظ مسلم «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر».

٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: أنه ﷺ لا يستكبر ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف؛ ليقضي لهم حاجاتهم، لأن رحمته ﷺ شملتهم.

فعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر الذِكْرَ، ويُقلُّ اللغوَ، ويُطيل الصلاةَ، ويقصُرُ الخطبةَ، وكان لا يأنف، ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له حاجتَه. رواه الدارمي والنسائي والطبراني والبغوي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: جعله ﷺ إطعامَ المسكين كمسح رأس اليتيم؛ كلاهما يرقّق القلب، ويزيل عنه القسوة التي تعتريه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبه، فقال: «امسح رأسَ اليتيم، وأطعم المسكين». رواه أحمد، برجال الصحيح كما قال المنذري، ورواه عبد بن حُميد والبيهقي، وحسنه الحافظ.

٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: جعله ﷺ

المال الذي يُطعم منه الفقير والمسكين واليتيم وابن السبيل هو نعم المال، والصاحب للمؤمن.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إن مما أخاف عليكم بعدي: ما يُفتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها».

فقال رجل: أَوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ يا رسول الله؟ ...الحديث، وفيه قوله ﷺ: «إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ، وإنَّ مما يُنبتُ الربيعُ يقتلُ أو يُلِم. إلَّا آكلةَ الخَضَر، فإنها أكلت، حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت عينَ الشمس، فثلطت وبالت، ثم رتعت، وإن هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، ونِعم صاحبُ المسلمِ هو لمن أعطى منه المسكين واليتيمَ وابن السبيل،...» الحديث بطوله، متفق عليه.

شبه رسول الله ﷺ الخير الذي ينقلب شرّاً، بالمسلم الذي يستكثر من جمع المال ويحرص عليه دون أداء الحقوق فيه بالبهيمة التي تأكل من النباتات الضارة بها فتقتلها أو تكاد، وشبه الخير الذي لا يأتي إلا بخير، بالإنسان المقتصد في جمع المال، المكتسب من حلٍّ والمنفق إياه في الخير، بالبهيمة التي تأكل من الكلأ الطيب ولم تستكثر منه بل ترتع منه شيئاً فشيئاً فتنتفع به وتخرج الفضلات ولا تتأذى به.

١٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثه ﷺ على العناية بالضعفاء، وإقالة عثراتهم، ومساعدتهم، لأن الخلق إنما يُرزقون ويرحمون ويمطرون بهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طِمرين، لا يُؤبه له، لو أقسم على الله لأبَرَّه، منهم البراءُ ابنُ مالك». رواه الترمذي والحاكم وصححاه، والطحاوي والطبراني.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «هل تُنصرون وتُرزقون إلّا بضعفائكم». رواه البخاري.

وهؤلاء الضعفاء والمساكين الذين لا يؤبه بهم، منهم من تكون له المكانة الكبيرة عند الله عزّ وجلّ.

١١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ بأن الضعفاء والمساكين وسقطة الناس، والمستضعفين في نظر عامة الناس، الذين لا يُؤبه بهم: هم أكثر أهل الجنة.

فعن حارثة بن وهب رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «ألا أُخبركُم بأهل الجنة؟» قالوا: بلى. قال ﷺ: «كلُّ ضعيفٍ متَضَعَّفٍ، لو أقسم على الله لأبَرَّه» ثم قال: «ألا أُخبركم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ [زنيمٍ] مستكبر». متفق عليه.

العتل: الغليظ الجاف. زنيم: ملحق بقوم ليس منهم.

جَوّاظٍ مستكبر: هو الذي يجمع المال ويمنعه، أو هو الذي لا يصبر على شيء، أي الجزوع يعني الجزوع المتكبر.

١٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ بأن فقراء المهاجرين هم أول من يجتاز على الصراط يوم القيامة.

فعن ثوبان - مولى رسول الله ﷺ - رضي الله تعالى عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبرٌ من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يُصرع منها. فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقولُ يا رسول الله! فقال اليهوديُّ: إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهلُه. فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سمّاني به أهلي».

فقال اليهودي: جئتُ أسألك.

فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيءٌ إن حدَّثْتُك؟».

قال: أسمعُ بأذنيَّ. فنكتَ رسول الله ﷺ بعودٍ معه، فقال: «سل».

فقال اليهوديُّ: أين يكون الناسُ يومَ تبَدَّلُ الأَرضُ غيرَ الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر».

فقال: فمن أولُ الناس إجازةً؟ قال: «فقراءُ المهاجرين». الحديث بطوله،... رواه مسلم.

يقول الشيخ: لقد بين رسول الله ﷺ أولوية فقراء المهاجرين بالدخول إلى الجنة.

١٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ أن هؤلاء الفقراء - وعلى الأخص من المهاجرين رضي الله تعالى عنهم - يدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بخمسمائة عام.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراءُ المسلمين الجنةَ قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، وهو مقدار نصف يوم». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه، وصحّحه الترمذي وابن حبان.

١٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثه ﷺ على إجلال الشيخ الكبير والرفق به، وإكرام ذي الشيبة المسلم، والشفقة عليه، ورحمة الصغير، لأن ذلك من إجلال الله تعالى وتعظيمه،...

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي مَن لم يُجلَّ كبيرَنا، ويرحم صغيرَنا، ويعرف لعالِمنا حقَّه». رواه أحمد والطحاوي والطبراني، وصحّحه الحاكم وعبد الحق، وحسنه الحافظ الهيثمي.

١٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثُّه ﷺ على إغاثة الملهوف، ومعاونة صاحب الحاجة، وقضاء حاجته ما أمكن.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا : يا نبي الله ؛ فإن لم يجد؟... قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف». متفق عليه.

١٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ بأن بعض الفقراء يكونون أفضل من بعض الأغنياء بما لا يُقدر بمقدار.

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله، حرِيٌّ إن خطب أن يُنكَحَ، وإن شفَعَ أَن يُشفَّعَ [وإن قال أن يُستَمَعَ]. قال: فسكت رسول الله ﷺ.

ثم مرَّ رجلٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حرِيٌّ إن خطب أن لا يُنكَحَ، وإن شفَعَ أن لا يُشفَّعَ، وإن قال أن لا يُسمعَ لقوله.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا». رواه البخاري. حرِيٌّ: جدير.

١٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ أن من أغضب بعضهم فقد أغضب الله تعالى، لما لهم من منزلة عنده تعالى.

فعن عائذ بن عَمْرو المزني رضي الله تعالى عنه، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصُهيب وبلال في نفر. فقالوا: والله، ما أخذت سيوفُ الله من عنق عدو الله

مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدِهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره. فقال: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّكَ».

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفرُ الله لك، يا أُخَيَّ.

رواه مسلم.

هؤلاء كانوا من الضعفاء، لأنهم كانوا من الموالي، وقالوا هذا القول لسيد قريش وزعيمها - وهو ما زال مشركا - بعد صلح الحديبية، فلم يرض رسول الله ﷺ أن يكون أبو بكر رضي الله تعالى عنه - وهو الصِّدّيق الأكبر - أن يُغضبهم، لأن إغضابهم هو إغضاب الله تعالى، والله تعالى أعلم.

١٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حثه ﷺ على حب الفقراء والمساكين ومجالستهم، وعدم التعالي عليهم. بعد أمر الله تعالى لنبيّه الكريم ﷺ بالصبر معهم، وعدم طردهم، وعدم سماعه أقوال الأشراف من العرب في شأنهم.

فعن خبّاب بن الأَرَت رضي الله تعالى عنه قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعُيَيْنة بنُ حِصن الفَزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صُهيب وبلال وعمّار وخبّاب، قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبيِّ ﷺ حقروهم، فأتوه، فخَلَوْا به وقالوا: إنّا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً، تعرف به العربُ فضلَنا، فإن وفودَ العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا العربُ مع هذه الأعْبُد،

فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئتَ. قال: «نعم» قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً. قال: فدعا بصحيفة، ودعا علياً ليكتب. ونحن قعودٌ في ناحية، فنزل جبرائيل ، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام:٢٥] ثم ذكر الأقرعَ بنَ حابس وعُيينةَ بنَ حِصن فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام:٣٥] ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام:٥٤]

قال: فدنونا منه، حتى وضعنا ركبَنا على ركبته. وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقومَ قام وتركنا. فأنزل الله ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ (ولا تجالس الأشراف) تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا (يعني: عُيينةَ والأقرع) وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٨٢] (قال: هلاكاً) قال: أمرُ عُيينة والأقرع. ثم ضرب لهم مثل الرَّجُلَين ومثل الحياة الدنيا.

قال خبّاب: فكنّا نقعد مع النبيّ ﷺ، فإذا بلَغْنا الساعةَ التي يقوم فيها: قمنا وتركناه حتى يقوم. رواه ابن ماجه وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم في آخرين ، بإسناد صحيح، وصحّحه البوصيري.

١٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: أن جعل

طعامَ الوليمة شر أنواع الأطعمة، لأن الناس يَدعون إليه الأغنياءَ ويَتركون الفقراءَ المحتاجين.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بئس الطعامُ طعام الوليمة، يُدعى إليها الأغنياءُ، ويُترك المساكين، [وعند البخاري: ويترك الفقراء] فمن لم يأت الدعوةَ فقد عصى الله ورسولَه.

الوليمة: هي كل طعام يصنع لسرور كنكاح وختان وغيرها.

٢٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: حرصه ﷺ على عيادة المريض، والصلاة على الميت منهم، وحضور دفنه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن امرأةً سوداء كانت تقمُّ المسجدَ (أو شابّاً) ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا: مات. قال: «هلّا كنتم آذنتموني؟» قال: فكأنهم صغَّروا أمرها (أو أمره) فقال: «دلّوني على قبره» فدلّوه، فصلّى عليها. ثم قال: «إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها. وإن الله عز وجل ينوِّرُها لهم بصلاتي عليهم». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٢١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ أن سبب هلاك الأمم السابقة أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية

التي سرقت، فقالوا: من يُكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلّا أسامةُ، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلَّمه أسامةُ. فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟».

ثم قام فاختطب فقال: «أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايْمُ الله، لو أن فاطمةَ بنتَ محمد سرقت لقطعتُ يدها». متفق عليه.

٢٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: أمره ﷺ بنصرة الضعيف، وعون المظلوم، كما هو في سائر الواجبات.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرَنا رسول الله ﷺ بسبعٍ، بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسِم. ونهى عن الشرب في الفضة، ونهى عن تختم الذهب، وعن ركوب الميائر، وعن لبس الحرير والديباج، والقِسِيِّ والإستبرق. متفق عليه، وهذا لفظ البخاري. الميائر: فرش للدابة من الحرير والديباج. الديباج نوع من الحرير. القِسِيِّ: هي مضلعة بالحرير. الإستبرق: غليظ الديباج.

٢٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إخباره ﷺ أن إطعام المسكين هو أحد أسباب دخول الجنة، خاصة إذا انضم إليه عدد من أعمال الخير.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن أطعم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنة». رواه مسلم.

٢٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: تعليمه ﷺ لهم ما يقولونه فينالون به درجة الأغنياء في إنفاقهم وإحسانهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن فقراء المهاجرين أتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: ذهب أهلُ الدُّثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم. قال: «وما ذاك؟». قالوا: يصلُّون كما نصلّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون ولا نتصدّق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلّا من صنع مثلَ ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تُسبِّحون وتكبِّرون وتحمدون دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة». متفق عليه.

أهلُ الدُّثور: أهل المال الكثير.

٢٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: دعاؤه ﷺ في قنوت الفجر للمستضعفين من المؤمنين الذين حجزهم كفار قريش في مكة، ولم يسمحوا لهم بالهجرة إلى المدينة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول - حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة، ويكبّر، ويرفع رأسَه -: «سمع الله لمن حمده، ربَّنا ولك الحمدُ» ثم يقول، وهو قائم: «اللّهم أَنجِ الوليدَ بنَ الوليدِ، وسلمةَ بنَ هشامٍ، وعيّاشَ بنَ ربيعةَ، والمستضعفين من المؤمنين،...». الحديث بطوله، متفق عليه.

٢٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: تحذيره ﷺ من ولي أمراً من أمور المسلمين فاحتجب عن الفقراء والمساكين وذوي الحاجات: أن يحتجب الله تعالى عنه يوم القيامة.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة: احتجب الله عنه يوم القيامة». رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن، وله شواهد متعددة، هو بها صحيح.

٢٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين: إثباته ﷺ معية الضعفاء والمساكين والمرضى بالمجاهدين المقاتلين في الأجر، لأن العذرَ حبسهم عن اللحاق بهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع النبيِّ ﷺ في غزاة، فقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً: إلّا كانوا معكم، حبسهم المرض». رواه مسلم.

لقد أثبت لهم المعية في الأجر مع المجاهدين، لوجود العذر، من مرض، أو ضعف ونحو ذلك.

الباب الثاني عشر
رحمته ﷺ بالمرضى والأموات

لقد شملت الرحمة المهداة المرضى كما كانت قد شملت الأصحاء، بل المرضى أولى بالرحمة، لذا كان ﷺ يزور المرضى ويتفقدهم، ويعتني بهم، ويدعو لهم، ويفسح في الأجل لهم، ويأمر بعيادتهم، ويبيّن ثواب العائد لها، وينهى عن القول الفاحش الضار عند المريض،...

١ - فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: إخباره ﷺ أن المرض كفارة للمسلم، أو زيادة في الدرجات، لذا حث على الصبر، وعلى عدم الجزع، والرضا بالقضاء.

فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «ما يصيب المؤمنَ من وَصَب ولا نَصَب ولا سَقَم ولا حَزَن، حتى الهمَّ يهمُّه؛ إلا كفَّر الله به سيئاته». متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه - في عيادته لرسول الله ﷺ - وفيه قوله ﷺ: «ما من مسلم يُصيبه أذى - من مرض فما سواه - إلا حطَّ الله به سيئاته، كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقَها». متفق عليه.

٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: أنه ﷺ إذا علم أن

أحداً من المسلمين مريض، سارع ﷺ إلى زيارته. لأن من عادته ﷺ تفقد أصحابه، فإذا فقد أحدَهم سأل عنه، فإن كان مريضاً عاده.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: مرضتُ مرضاً، فأتاني النبيُّ ﷺ يعودني وأبو بكر - وهما ماشيان - فوجداني أُغمي عليَّ، فتوضّأ النبيُّ ﷺ، ثم صبَّ وَضوءَه عليَّ، فأفقتُ، فإذا النبيُّ ﷺ. فقلت: يا رسول الله، كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يُجبني بشيءٍ، حتى نزلت آيةُ المواريث. رواه البخاري.

قال الشيخ: والأحاديث في عيادته ﷺ لمن مرض من الصحابة كثيرة جدّاً.

٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: أن أوجب عيادة المريض على من بلغه ممن يعرفه، لأنه حق له. وتخفِيف عنه وتسلّيه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس؛ ردُّ السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز». متفق عليه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفكّوا العاني». رواه البخاري. العاني: الأسير.

٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: أنه ﷺ بيّن فضلَ عيادة المريض، والثواب الذي يناله العائد من عيادته.

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضاً لم يزل في خُرْفَة الجنة حتى يرجع». رواه مسلم.

خُرْفَة الجنة: يعني ثمار الجنة، أو الطريق إلى الجنة.

٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: أنه ﷺ كان يعود المرضى، ويدعو لهم، وهذا ما تواتر عنه ﷺ.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً - أو أُتِي به إليه - قال عليه الصلاة والسلام: «أَذهب الباسَ، ربَّ الناسِ، اشف وأنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادر سقَماً». متفق عليه.

٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: وصفه ﷺ العلاجَ للمريض - والمعروف بالطب النبوي - وهذا العلاج نوعان

- رقية، إما آيات من القرآن الكريم، أو أدعية، يقولها المريض، في أوقات وهيئة مخصوصة. كالرقية بالقرآن، والمعوذات، وبالفاتحة، ورقية العين، والحية، والعقرب، ورقية النبي المصطفى الكريم ﷺ،...

- أدوية، والغالب عليها مفردة، وأحياناً مركبة.

وهذه الأدوية المفردة متعددة، كالعسل، والحجامة، وألبان الإبل وأبوالها، والحبة السوداء، والكي، والتلبينة، والسعوط - وخاصة بالقسط الهندي - والإثمد، والكحل، والمن، واللدود، والعجوة،...

٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: نهيه ﷺ عن الحلق والخرق والسلق، وضرب الخد وخمشه، وشق الجيب، والدعاء بالويل، ونشر الشعر، والنياحة،... ونحو ذلك مما يُقال في حضرة المريض والميت، لأن ذلك يضر بالمريض، ولأن الملائكة تؤمّن على ما يقوله الحاضرون.

فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى قال: وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه - ورأسه في حجر امرأة من أهله - فصاحت امرأة من أهله [هي امرأته أم عبد الله كما في الرواية الثانية عند مسلم] فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بَريءٌ مما بَرِئَ منه رسول الله ﷺ. فإن رسول الله ﷺ بَرِئَ من الصالقة والحالقة والشاقة. متفق عليه. الصالقة: التي ترفع صوتها بالنياحة. الحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة. الشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدودَ، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية». متفق عليه.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أُغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أختُه عَمْرةُ تبكي، واجَبَلاه، واكذا، واكذا. تعدّد عليه. فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنتَ كذلك؟ رواه البخاري.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصرُه، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصرُ» فضجَّ ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلّا بخير، فإن الملائكةَ يؤمّنون على ما تقولون». رواه مسلم.

٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمريض: نهيه ﷺ أن يتمنى المريض الموت، أو يدعو به.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنّيَن أحدُكم الموت من ضُرٍّ أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللّهم أحيني ما كانت الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي». متفق عليه.

٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: بكاؤه ﷺ عند من احتضر - أو كان في غيبوبة - من أصحابه رضي الله عنهم رحمةً بهم.

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: اشتكى سعدُ بنُ عُبادة شكوى له، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده، مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: «قد قضى؟» فقالوا: لا، يا رسول الله، فبكى النبيُّ ﷺ، فلما رأى القومُ بكاءَ النبيِّ ﷺ بكوا، فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذِّبُ بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم،...» الحديث، متفق عليه.

١٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: بكاؤه ﷺ عند نعيه لأمراء جيش مؤتة رضي الله تعالى عنهم.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحة للناس، قبل أن يأتيَهم خبرُهم.

فقال: «أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذ ابنُ رواحة فأصيب» وعيناه تذرفان «حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». رواه البخاري.

١١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: دنوه ﷺ من المريض، ووضع يده الشريفة على موضع الألم، ثم يدعو الله تعالى له.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: تشكَّيتُ بمكة شكوى شديدة، فجاءني النبيُّ ﷺ يعودني... الحديث وفيه: ثم وضع [رسول الله ﷺ] يدَه على جبهته، ثم مسح يدَه على وجهي وبطني، ثم قال: «اللّهم اشف سعداً، وأتمم له هجرتَه» فما زلت أجد بردَه على كبدي فيما يُخال إليَّ حتى الساعة. رواه البخاري، وقد رواه مسلم، لكن لا يوجد فيه وضع اليد.

١٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: حرصه ﷺ على هداية المريض إذا كان كافراً. فمن ذلك دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه، فأسلم الغلام اليهودي.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان غلام يهوديٌّ يخدم النبيَّ ﷺ، فمرض، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلِم» فنظر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم. فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». رواه البخاري.

١٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: حثه ﷺ على تلقين الإنسان المحتضر - إذا لم ينطق هو بها - (لا إله إلا الله) وقد تواتر ذلك عن رسول الله ﷺ.

فعن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله». رواه مسلم عنهما متفرقين.

١٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى: حثه ﷺ العائد على تحسين المريض الظن بالله تعالى، لأن الله تعالى عند حُسن ظن العبد به.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتنَّ أحدُكم إلّا وهو يحسن الظن بالله عز وجل». رواه مسلم.

١٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: حثه ﷺ مغسِّل الميت أن يستر عما يراه من الميت، مما فيه إساءة.

فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ورضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من غسَّل ميّتاً فكتم عليه: غفر الله له أربعين مرة، ومن كفَّن ميّتاً كساه الله من السندس واستبرق الجنة، ومن حفر لميت قبراً وأجنَّه فيه: أُجري له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة». رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي، ورواه الطبراني والبيهقي برجال الصحيح.

١٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: حرصه ﷺ على الصلاة على الميت، لأن القبور مملوءة ظلمة على أصحابها، وأن الله تعالى ينوِّرها عليهم بصلاته ﷺ عليهم.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرٍ قد دُفن ليلاً، فقال: «متى دُفن هذا؟» قالوا: البارحة. قال: «أفلا آذنتموني؟» قالوا: دفنّاه في ظلمة الليل، فكرهنا أن نوقظك، فقام، فصففنا خلفه - قال ابن عباس: وأنا فيهم - فصلّى عليه. متفق عليه.

١٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: بيانه ﷺ ثوابَ المصلي على الميت، والمشيّع له، وانتفاع الميت بكثرة المصلّين عليه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد الجنازةَ حتى يُصلّى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان» قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين».

وفي رواية: «أصغرهما مثلُ أُحد». متفق عليه.

وأما انتفاع المتوَفّى من صلاة المصلِّين عليه.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما من ميِّتٍ يُصلّي عليه أُمَّةٌ من المسلمين، يبلغون مائةً كلُّهم يشفعون له: إلَّا شُفِّعوا فيه». رواه مسلم.

١٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: حثّه ﷺ المشيّعين على الدعاء والاستغفار للميت.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأل». رواه أحمد وأبو داود والبزار وابن السنّي والبغوي والضياء، وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه النووي.

وقد كثر قوله ﷺ: «استغفروا لصاحبكم». رواه مسلم.

١٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: حثه ﷺ على زيارة القبور.

فعن بُريدة بن الحُصَيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها،...» الحديث بطوله، رواه مسلم.

٢٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: ردُّه ﷺ الثلثَ على ورثة الميت الذي أوصى به لرسول الله ﷺ.

فعن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ حين قدم المدينة، سأل عن البراء بن معرور، فقالوا: تُوُفِّي، وأوصى بثلثه لك يا رسول الله، وأوصى أن يُوجّه إلى القبلة لما احتضر.

فقال رسول الله ﷺ: «أصاب الفطرةَ، وقد رددتُ ثلثَه على ولده» ثم ذهب فصلّى عليه، فقال: «اللّهم اغفر له، وارحمه، وأدخله جنّتَك، وقد فعلتَ». رواه الحاكم وصحّحه وأقره الذهبي، ورواه البيهقي.

٢١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: حثه ﷺ على أداء الحقوق عن الميت. سواء كانت حقوقاً لله تعالى، أو حقوقاً للعباد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نفس المؤمن معلّقة بدَيْنه حتى يقضى عنه». رواه أحمد والترمذي وحسّنه. وهذا محمول على من ترك مالاً.

٢٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: نهيُه ﷺ عن وطء القبور، وعن عدم الاعتداء عليها، وبيَّن ﷺ أن حرمة الإنسان بعد موته كحرمته في حال حياته،...

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القبرُ، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه. رواه مسلم.

٢٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: غرزُه ﷺ في القبر الذي يعذب صاحبُه جريدةً رطبة، رجاء أن يخفَّفَ عن صاحبه من العذاب فترة اخضرارها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين، فقال:

«إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشَقَّها نصفين، فغرز في كل قبرٍ واحدةً. قالوا: يا رسول الله، لم فعلتَ هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا». متفق عليه.

٢٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات: أمره ﷺ بدفن الميت، ولو كان كافراً. كما فعل بصناديد قريش الذين قُتلوا في بدر، وقتلى بني قريظة.

فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال: إن أبا طالب [وفي رواية: إن عمَّك الشيخَ] قد مات، فقال: «اذهب فوارِه» قال: إنه مات مشركاً؟ قال: «اذهب فوارِهِ» فلما واريتُه رجعتُ إليه، فقال لي: «اغتسل». رواه الشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي وأحمد وابنه وأبو داود والنسائي وابن الجارود وأبو يعلى والبزار والبيهقي بأسانيد صحاح وحسان، وصححه ابن خزيمة. وقال الإمام الرافعي رحمه الله تعالى: إنه حديث ثابت مشهور.

الباب الثالث عشر
رحمته ﷺ بالكفار والأعداء في الدنيا

لا أعلم في تاريخ البشرية - على جميع المستويات قديماً وحديثاً - من عامل الكافرين المعاندين، حتى لو كانوا أعداءه الألداء - معاملة النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم. ابتداء من كونه ﷺ أماناً للخليقة كلّها من عذاب الاستئصال - حتى بعد طلبهم الهلاك - وانتهاء بعدم قتله ﷺ من أراد اغتيالَه أو قتلَه أو سمَّه أو سحرَه، وكذا عدم موافقته ﷺ على قتل من أساء إليه أو اعتدى عليه، أو أراد قتله أو اغتيالَه، مروراً بدعائه ﷺ لهم بالهداية، والرزق، والعفو عنهم، وعدم الدعاء عليهم بالهلاك،...

١ - فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أن جعل الله تعالى وجودَ نبيِّه الكريم ﷺ أماناً لهم من عذاب الاستئصال، الذي كان يقع على الأمم السابقة، بمخالفتها وعصيانها وكفرانها بأنبيائها، لذا لن يقع عليهم عذابٌ يستأصل شأفتَهم، حتى لو طلبوا هم ذلك.

قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣] نزلت عندما قال أبو جهل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال:٢٣]

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه «قال أبو جهلٍ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال:٣٢] فنزلت ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣] ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [الأنفال:٤٣]». رواه البخاري.

فقد صار وجودُه ﷺ أماناً للبشرية كلها من الهلاك الذي كان يقع على الأمم السابقة. فما أوسع رحمة الله تعالى التي شملت الكفار بهذه الهدية.

٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: عدمُ موافقته ﷺ على القضاء على الكفار، وذلك بإطباق مَلَك الجبال جبلَي مكة عليها وعلى من فيها، فلا يبقى فيها أحد. لأن مثل هذا الفعل يتنافى مع الرحمة المهداة، كما يتنافى مع تطلعات النبي المصطفى الكريم ﷺ، الذي يرجو هدايةَ الخلق وإيمانَهم.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحدٍ؟ فقال: «... وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن كُلال. فلم يجبني إلى ما أردتُ. فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قولَ قومِك لكَ وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم.

قال: فناداني مَلَكُ الجبال، وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قولَ قومك لكَ، وأَنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليكَ لتأمرني بأمرك، فما شئتَ؟ إن شئتَ أن أُطبِق عليهم الأخشبين» [يعني: جبلي مكة] فقال له رسولُ الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده، لا يشركُ به شيئاً». متفق عليه.
قرن الثعالب: مكان بين الطائف ومكة، ويقال له: قرن المنازل.

٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: عدمُ دعائه ﷺ على المشركين الأعداء بالفناء، وقد صدُّوه وكذَّبوه وعاندوه وآذوه، وآذوا أصحابه رضي الله تعالى عنهم أشد الأذى.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «إني لم أُبعث لعَّاناً، وإنما بُعثتُ رحمةً». رواه مسلم.

وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قدم طُفَيلُ بنُ عَمْرٍو الدوسِيُّ وأصحابُه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دَوساً عصت [وعند مسلم: قد كفرت] وأبت، فادع اللهَ عليها. فقيل: هلكت دَوسٌ [فظن الناسُ أنه يدعو عليهم] فقال «اللّهم اهد دَوساً وائتِ بهم». متفق عليه.

٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: دعاؤه ﷺ يوم أُحد بالعفوِ والمغفرة عن قومه، الذين أسالوا دمَه الشريف، وقتلوا سبعين من كرام أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل، ومع كلِّ هذا لم يدع عليهم، بل اعتذر عنهم، ودعا لهم بالعفو والمغفرة، وأن يسامحهم الله تعالى.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيّاً من الأنبياء ضربه قومُه، وهو يمسح الدمَ عن وجهه، ويقول: «اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». متفق عليه.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: المراد بالمغفرة في الحديث ...: العفو عما جنوه عليه في نفسه، لا محو ذنوبهم كلها، لأن ذنب الكفر لا يمحى، أو المراد بقوله: «اغفر لهم» اهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة، أو المعنى: اغفر لهم إن أسلموا، والله تعالى أعلم. اهـ.

٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: ما حصل يوم الْحُدَيْبِيَة، لما بركت راحلته، وقال أصحابه رضي الله تعالى عنهم: خلأت القصواء. قال ﷺ: «ما خلأت، وما ذلك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال -: والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّةً يُعظِّمون فيها حرمات الله إلّا أعطيتهم إياها». كما رواه البخاري.

خلأت القصواء: أي أبت وبركت.

لما قدم سهيل بن عمرو، ليفاوض رسول الله ﷺ على الصلح، أعطاه رسول الله ﷺ كلَّ ما شرط، مع أن ظاهر تلك الشروط كانت مجحفةً في حق المسلمين، ولكن رسول الله ﷺ يتَّبع ما يوحى إليه، وما كان ليخالف أمرَ ربه تعالى، إضافة إلى أن رحمته غلبت على عقول كثير من المسلمين، ممن أنكر تلك الشروط.

٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أنه لم يَقتل الذين حاولوا الغدرَ بالمسلمين يوم الحديبية، وكانوا ثمانين رجلاً، جاؤوا يلتمسون غِرّةَ المسلمين؛ ليغدروا بهم، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله تعالى بأبصارهم، وقَبض عليهم المسلمون، ولم ينج منهم أحد، فعفا عنهم، ولم يَقتل أحداً منهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن ثمانين رجلاً من أهل مكة؛ هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلّحين، يريدون غِرّةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه [فدعا عليهم] فأخذهم سَلَماً [يعني أسرهم من غير قتال] فاستحياهم [يعني: أبقاهم أحياء ولم يقتلهم] فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٢٤] رواه مسلم.

٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: ما حصل يوم الفتح؛ حيث حصلت عدةُ مظاهر لتلك الرحمة المهداة. كل واحد منها يدل على مدى رحمته ﷺ، وأنه مسالم، لا يحب الانتقام، وما كان متعطّشاً لسفك الدماء، مع ما فعل به كفار قريش، وبأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

أ - لما قال سعد بن عبادة لأبي سفيان رضي الله تعالى عنهما: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة) وأخبر أبو سفيان رسولَ الله ﷺ بما قال سعد، قال ﷺ: «هذا يومٌ يعظِّمُ الله فيه الكعبةَ، ويوم تُكسى فيه الكعبة» كما عند البخاري.

وعند أهل المغازي: «اليوم يوم المرحمة، اليوم يُعزُّ الله فيه قريشاً». رواه البخاري.

ب - لقد نهى رسول الله ﷺ عن القتال يوم دخول الجيش إلى مكة - مع أن الله تعالى أباحها له - لأنه ﷺ يريد تطهيرها من الشرك والوثنية، وعودة أهلها إلى ما كانوا عليه من الحنيفية السمحة، ولا يريد قتلَ أهلها، وسفك دمائهم.

ج - بعد أن دخل رسول الله ﷺ مكة بعد الفتح، وجمع قريشاً - وهم يتوقعون القتلَ لِما فعلوا به ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل - قال ﷺ لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: أخٌ كريم وابن أخ كريم. قال ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ولهذا سمى رسول الله ﷺ هذا اليوم بيوم المرحمة.

لقد قالوا مستعطفين مسترحمين، وهم يعلمون ما فعلوا به وبأهله ﷺ.

٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: دعاؤه ﷺ للكفار بالإغاثة حين قحطوا، وتوقعوا الموت جوعاً.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجَهدٌ، حتى جعل الرجلُ ينظرُ إلى السماء، فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، وحتى أكلوا العظام، فأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله، استغفر الله لمضر.

[وفي رواية لهما: فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم - وفي أخرى عند البخاري: يا رسول الله، استسق لمضر،

فإنها قد هلكت] فقال: «لمضر؟ إنك لجريء» قال: فدعا الله لهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان:١٥]

قال: فمُطِروا [وفي رواية للبخاري: فاستسقى، فسُقوا]. متفق عليه.

٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أنه لم يقتل من سمَّه أو سحره أو حاول قتله أو اغتياله أو أساء إليه،... بل لم يعنِّف أحداً منهم، ولم يأذن لمن استأذنه بقتلهم أن يقتلهم، بل عفا عنهم جميعاً، سواء كانوا من العرب الكفار الأعداء، أو من اليهود الحاقدين، أو من المنافقين المارقين، والنصوص في ذلك كثيرة.

أ - لم يقتل ﷺ لبيد بن الأعصم المنافق حليف اليهود الذي سحره.

أخرج البخاري عن هشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سُحِرَ النبيُّ ﷺ. وقال اللَّيْثُ: كَتَبَ إِلَيَّ هشامٌ: أنه سمعه ووعاه عن أبيه، عن عائشة قالت: سُحِرَ النبيُّ ﷺ، حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يَفعلُ الشيءَ وما يَفعله، حتى كان ذاتَ يومٍ دَعا ودَعا، ثم قال: «أَشَعَرْتِ أن الله أَفْتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدُهما عند رأسي والآخر عند رِجْلَيَّ، فقال أحدُهما للآخَرِ: ما وَجَعُ الرجُلِ؟ قال: مَطْبوبٌ، قال: ومَن طَبَّه؟ قال: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ، قال: فيما ذا؟ قال: في مُشُطٍ ومُشاقَةٍ وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بِئْرِ ذَرْوانَ». فخرج إليها النبيُّ ﷺ ثم رَجَعَ، فقال لعائشةَ حين رَجَعَ: «نَخْلُها كأَنَّها رؤوس الشياطينِ». فقلتُ: اسْتَخْرَجْتَه؟ فقال: «لا، أَمَّا أنَا فقد شَفاني الله، وخَشيتُ أَنْ يُثيرَ ذلك على الناس شرًّا». ثم دُفِنَتِ البِئْرُ.

مَطْبوبٌ: أي مسحور. المُشاقَة: ما يسقط من الشعر. جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ: غشاء طلع ذكر النخل.

قال الشيخ خليل: والسحر ليس عامّاً، إنما هو في جزئية صغيرة، وهي عدم إتيان السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في الفراش، ولم يُقبض عن غيرها، ولم يدم طويلاً، لذا لم يشتهر عن غيرها، لعدم علمهن به، وقد أخبره الملَكان بذلك، وبمن طبَّه، وفي أي شيء، وأين يوجد في البئر الذي دفنه فيه، ولم يقتله ﷺ مع اعترافه به، والحديث متواتر عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

ب - لم يقتل ﷺ اليهودية التي سمَّته.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردتُ لأقتلك. قال: «ما كان الله ليسلِّطكِ على ذلك» - قال: أو قال «عليَّ» - قالوا: ألا نقتلُها؟ قال: «لا». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

ج - لم يقتل ﷺ الأعرابي الذي أراد اغتياله ﷺ وهو نائم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلةُ في وادٍ كثير العِضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، وعلّق بها سيفَه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابيٌّ

فقال: «إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو في يده صلتاً» فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: «الله» ثلاثاً ولم يعاقبه، وجلس. متفق عليه، زاد مسلم في روايته: ثم لم يَعرِض له رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، فقال: «من يمنعك مني؟» فقال: كن خير آخذٍ، فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فخلَّى سبيله، فأتى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس. رواه أبو بكر الإسماعيلي في صحيحه.

قال عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابنُ سلول - يوم بني المصطلق -: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: دعني يا رسول الله، أضربُ عنقَ هذا المنافق. فقال النبيُّ الكريم ﷺ: «دعه، لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمداً يقتلُ أصحابه» كما في حديث جابر رضي الله عنه، المتفق عليه.

العِضاه: وادٍ كثير الشجر ذي الشوك.

١٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أن الله تعالى طلب من نبيّه الكريم ﷺ إذا استجاره مشرك من المشركين، فليجره، وليُسمعه كلام الله تعالى، ويَذكر له أمورَ الدين، ثم يُبلغه مأمنه بعد ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة:٦]

والمشركُ لا يُغفر له، وهو مخلَّدٌ في النار، ومع هذا لم يقتله، بل يُجيره، ويُسمعه كلامَ الله تعالى، ثم يُبلغه مأمنه؛ في دياره أو بلده أو دولته، بل يمكنه من البقاء في بلاد المسلمين لفترة محددة.

١١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: عيادتُه ﷺ لمرضى الكفار من الذميين، وغير الذميين، كمشركي العرب، إذا كان ثمة مصلحة.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان غلام يهوديٌّ يخدم النبيَّ ﷺ، فمرض، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلِم» فنظر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم. فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». رواه البخاري.

١٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أمره ﷺ بدفنهم إذا ماتوا أو قُتلوا. وإذا كان ﷺ قد أمر بدفن قتلى كفار قريش يوم بدر، وقتلى اليهود من قريظة، فإنه أمر بدفن من مات من الكفار في غير المعركة.

فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال: إن أبا طالب [وفي رواية: إن عمَّك الشيخَ] قد مات، فقال: «اذهب فوارِه» قال: إنه

مات مشركاً؟ قال: «اذهب فوارِهِ» فلما واريتُه رجعتُ إليه، فقال لي: «اغتسل». رواه الشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي وأحمد وابنه وأبو داود والنسائي وابن الجارود وأبو يعلى والبزار والبيهقي بأسانيد صحاح وحسان، وصححه ابن خزيمة.

وقال الإمام الرافعي رحمه الله تعالى: إنه حديث ثابت مشهور.

١٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: نهيُه ﷺ عن قتل النساء والصبيان أثناء الحرب، ما لم تباشر المرأةُ القتال. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وُجدت امرأةٌ مقتولةً في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان. متفق عليه.

وعن رباح بن الربيع رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، وعلى مقدمة الناس خالدُ بنُ الوليد، فإذا امرأة مقتولة على الطريق، فجعلوا يتعجّبون من خَلقها، قد أصابتها المقدِّمة. فأتى رسولُ الله ﷺ فوقف عليها، فقال: «هاه، ما كانت هذه تقاتل. ثم قال: أدرك خالداً، فلا تقتلوا ذرّيّةً ولا عسيفاً» وفي رواية «قل لخالد لا يقتلن امرأةً ولا عسيفاً». رواه أحمد وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي وابن ماجه والطحاوي والطبراني والبيهقي، وصححه ابن حبان.

عسيفاً: الأجير أو الشيخ الفاني أو العبد.

١٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أنه كتب إلى زعماء زمانه؛ من ملوك ورؤساء وزعماء وولاة يدعوهم إلى الإسلام. ويحذرهم من مغبة إعراضهم، وأنهم يتحمّلون المسؤولية عن أنفسهم وعن أقوامهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار؛ يدعوهم إلى الله تعالى. رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى دعاهم. رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وعبد بن حُميد وأبو يعلى والطبراني برجال الصحيح، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

١٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: حثُّه ﷺ قادة الجيوش على دعوة العدو إلى الإسلام قبل القتال، وألّا يقاتلوا قوماً كفّاراً حتى يدعوهم إلى الإسلام أولاً، فإن أجابوا إليه لا يقاتلهم.

فعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لعلي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يوم خيبر: «انفُذ على رِسْلِك، حتى تنزلَ بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم». متفق عليه. الإبل الحمراء: وهي أجود الإبل وأحسنها.

١٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: نهيه ﷺ عن قتل الكافر إذا نطق بالشهادتين، حتى لو فعل بالمسلمين ما فعل، لأن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، فقد عصم دمَه ومالَه وعرضَه. وفي هذا دلالة على حرصه ﷺ على هداية الناس، وليس على قتلهم.

فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَة من جهينة، فصبَّحنا القومَ، فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله. فكفَّ عنه الأنصاريُّ، وطعنتُه برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا، بلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال لي: «يا أسامةُ، أقتلتَه بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قال: قلت يا رسول الله، إنما كان متعوِّذاً. قال: [«أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا»] «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قال: فما زال يكرِّرُها عليَّ حتى تمنَّيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم. متفق عليه.

١٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: وصيته ﷺ بأهل الذِّمَّة خيراً.

فعن أبي ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستَفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمَّةً ورحماً، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة، فاخرج منها».

قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن ابنَي شُرَحبيل بن حسنة، يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها.

وفي رواية ثانية عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصرَ، وهي أرضٌ يُسمّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمَّةً ورحماً - أو قال: ذمةً وصهراً - فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها».

قال: فرأيت عبدَ الرحمن بن شُرحبيل بنِ حسنة وأخاه ربيعةَ، يختصمان في موضع لبنة، فخرجتُ منها. رواهما مسلم.

قال الإمام النووي: قال العلماء: القيراطُ جُزءٌ من أجزاءِ الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهلُ مصرَ يُكثرونَ من استعماله والتَّكلم به، وأَمَّا الذمة فهي الحُرمَةُ والحقُّ وهي هنا بمعنى الذِّمامُ، وأَمَّا الرَّحِمُ فلكوْنِ هاجرَ أُمِّ إسماعيلَ منهم، وأَمَّا الصِّهْرُ فلكوْنِ مارِيَةَ أُمِّ إبراهيمَ منهم، وفيه مُعجزاتٌ ظاهرةٌ لرسول الله ﷺ، منها إِخْبارُه بأَنَّ الأُمَّةَ تكونُ لهم قُوَّةٌ وشَوْكَةٌ بعده بحيثُ يَقْهَرونَ العَجَمَ والجَبابِرَةَ، ومنها أَنَّهم يَفْتَحونَ مِصْرَ، ومنها تَنازُعُ الرَّجُلَينِ في مَوْضِعِ اللَّبِنَةِ، ووَقَعَ كلُّ ذلك ولله الحمدُ، ومعنى يَقْتَتِلانِ يَخْتَصِمانِ كما صَرَّحَ به في الرواية الثانية.

١٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: إباحته ﷺ للمسلمين صلة أقاربهم الكفار، ليعلموا أن في ديننا فسحة، ولأن البر والتوادد والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢] لأنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل، والله تعالى أعلم.

فإذا لم تكن موادة، وليس ممن يقاتلون المسلمين فجائزٌ صلتُهم.

فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قَدِمَت عَلَيَّ أُمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيتُ رسول الله ﷺ، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلُ أمي؟ قال: «نعم، صِلي أُمَّك». متفق عليه.

وهذا من باب البر والصلة المأذون بهما شرعاً، طالما أنهم لم يقاتلوا المسلمين، ولم يخرجوهم من ديارهم ولم يظاهروا على ذلك، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨] والله تعالى أعلم.

١٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: نهيه ﷺ عن الاعتداء على المعاهد والذِّمِّيِّ، أو قتلهما بدون سبب موجب. طالما هو قائم بحق العهد والذِّمَّة، ولم ينقضه بأي صورة من الصُّور.

إن الكفار في بلاد المسلمين ينقسمون إلى معاهدين وذميين ومستأمنين.

أ - أما المستأمن، فيجار - إذا استجار - حتى يسمع كلام الله تعالى، ثم يبلغ مأمنه، سالماً غير معتدى عليه.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة:٦]

ب - وأما المعاهد فهم نوعان؛ من له عهد إلى أجل، ومن له عهد مطلق، فمن كان له عهد إلى أجل فعهده إلى مدته، ومن كان له عهد مطلق فله أربعة

أشهر، يسيح في الأرض حيث يشاء، ولا يُتعرض له، ولا تُخفر ذمته، شريطة ألا يَنقض عهدَه، ولم يظاهر على المسلمين أحداً.

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهِداً لم يَرَح رائحةَ الجنة، وإن ريحَها توجد من مسيرة أربعين عاماً». رواه البخاري.

ج - وأما الذِّمِّيُّ - الذي أعطى المسلمين الجزية، مقابل حمايته والدفاع عنه، وإبقائه في بلاد المسلمين - فهذا له حقوق كثيرة، ولا يجوز إيذاؤه، أو الاعتداء عليه، أو خفر ذمته.

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً من أهل الذِّمَّة لم يجد ريحَ الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً». رواه أحمد والنسائي والبيهقي بإسناد صحيح، والحاكم وصححه وأقره الذهبي.

٢٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: أنه لم يقتل من أراد الاعتداء عليه، إنما أمر بقتل من أراد الإسلام والمسلمين والأمة، أو ارتد وقتل بعضَ المسلمين، فيكون قتلُه قصاصاً، ومن هؤلاء:

- كعب بن الأشرف فهو - بعد نقضه العهد -. حرّض كفار قريش على رسول الله ﷺ.

- وسلام بن أبي الحقيق، الذي حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ.

- وعبد الله بن خطل، الذي ارتد عن الإسلام. وصار يهجو رسول الله ﷺ.

- ويهود بني قريظة، قد نقضوا العهد، وحاربوا رسول الله ﷺ مرتين، وانضموا إلى الأحزاب في قتالهم للمسلمين يوم الخندق، وهذا حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه.

الباب الرابع عشر
رحمته ﷺ بالحيوان

لا أعلم في الخليقة أحداً أرحم وأرفق بالحيوان من رسول الله ﷺ، وقد برزت مظاهر تلك الرحمة بصور مختلفة.

١ - فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أمره ﷺ بالرفق به، ووجوب الشفقة عليه، وعدم ضربه ضرباً موجعاً.

فعن معدان الكلاعي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفقَ، ويرضاه، ويُعين عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدواب العُجم فانزلوا بها منازلَها، وإن كانت الأرضُ جدبةً فانجوا عليها بنِقْيِها، وعليكم بسير الليل، فإن الأرض تُطوى بالليل ما لا تُطوى بالنهار، وإياكم والتعريس على الطريق، فإنه طريقُ الدّوابِّ ومأوى الحيّات». رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور والطبراني وابن قانع وأبو نعيم، برجال الصحيح.

العُجم: التي لا تتكلم. فانزلوا بها منازلَها: أريحوها.

فانجوا: فأسرعوا طلباً للنجاة من الأرض الجدبة وحرصاً على الدواب حتى لا تهزل. التعريس: النزول آخر الليل على جواد الطريق.

٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن ضرب

وجه الحيوان أو خده مثلما هو الحال بالنسبة للإنسان. لأن حُرمة البهائم وجوهها.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه. رواه مسلم.

٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن ضربها بالسوط ضرباً مبرحاً.

فعن عُبيد الله بن زياد البكري، عن ابنَي بُسْر السُّلَمِيّين - رضي الله تعالى عنهما - قال: دخلت عليهما، فقلت: يرحمكما الله، الرجلُ منّا يركب دابَّته، فيضربها بالسَّوط، ويكفحُها باللجام، هل سمعتما من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً؟ قالا: لا، ما سمعنا في ذلك شيئاً.

فإذا امرأةٌ قد نادت من جوف البيت: أيُّها السائل، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:٨٣] فقالا: هذه أختُنا، وهي أكبر منّا، وقد أدركت رسول الله ﷺ. رواه أحمد بإسناد صحيح.

٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: إخباره ﷺ عن دخول امرأة النار بسبب حبسها هرة، لم تُطعمها إذ حبستها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأةُ النارَ في هرَّةٍ حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض». متفق عليه.

٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: إخباره ﷺ أن الله تعالى يشكر للعبد الذي يُحسن إلى الحيوانات، ويغفر له ذنوبه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطشُ، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفَّه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلبَ، فشكر الله له، فغفر له».

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل كبدٍ رطبةٍ أجر». متفق عليه.

٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: حثُّه ﷺ على اتقاء الله تعالى في هذه البهائم.

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لبعض الأنصار - وقد جاء بعير له يشكوه إلى النبي ﷺ، وأنه يُدئبُه في العمل ويُجيعه -: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدئبه». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وأبو عوانة بإسناد صحيح.

٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: عدم رضاه ﷺ عن فعل المرأة التي نذرت إن سلّمها الله تعالى من العدو أن تنحر الناقة التي سلمت عليها، وأخبرها ﷺ أنها بئس ما جزتها على فعلها، إذ نجّاها الله تعالى عليها، فالواجب عليها إكرامُ الراحلة التي أوصلتها لا ذبحها.

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، أن امرأةَ أبي ذرٍّ جاءت على القصواء - راحلةِ النبيِّ ﷺ - حتى أناخت عند المسجد، فقالت: يا رسول الله، نذرت إن نجّاني الله عليها لآكلنَّ من كبدها وسنامها. قال: «بئس ما جزيتِها، ليس هذا نذراً، إنما النذرُ ما ابتُغي به وجهُ الله عز وجل». رواه البيهقي. وروى أبو داود وغيره ما يتعلق بالنذر.

٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: إخباره ﷺ أن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، لذا يجب الإحسان إلى الحيوان لأنه شيء. ويكون ذلك في إطعامه وإسقائه وذبحه وقتله.

فعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال: ثنتان حفظتُهما عن رسول الله ﷺ. قال: «إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبحَ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، فليرِح ذبيحتَه». رواه مسلم.

٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: إخباره ﷺ أن من يرحم الذبيحة عند ذبحها فإن الله تعالى يرحمه يوم القيامة.

فعن قرة بن إياس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إني لأذبحُ الشاةَ فأرحمها - أو قال: إني لأرحم الشاةَ أن أذبحها - قال: «والشاة إن رحمتَها رحمك الله» مرتين. رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني بإسناد صحيح.

١٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أمره ﷺ بإبقاء بعض الحليب للولد بعد الحلب.

عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: مَرَّ رسولُ الله ﷺ برجُل يحلب شاةً، فقال: «أي فلان، إذا حلبْتَ فأبق لولدها، فإنها من أَبَرِّ الدّواب». رواه الطبراني وأبو نعيم برجال الصحيح، غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة.

١١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أمره ﷺ بتقليم الأظفار قبل الذبح، ولا يشدّدوا في عصر الضرع فيدموه.

فعن سَوادة بن الربيع رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ النبيَّ ﷺ فسألتُه، فأمر لي بذَودٍ، ثم قال لي: «إذا رجعت إلى بيتك فمُرهم فليُحسنوا غِذاءَ رِباعِهم، ومُرهم فليُقَلِّموا أظفارَهم، لا يَعْبطوا بها ضروعَ مواشيهم إذا حلبوا». رواه أحمد وابن سعد والطبراني والبزار والبيهقي بسند جيد. لا يَعْبطوا: لا يجرحوا.

١٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن تهييج الطير من مكانه، وليبقوه في عشه.

فعن أُم كُرزٍ رضي الله تعالى عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أقِرُّوا

الطيرَ على مكاناتها». رواه الشافعي والحميدي والطيالسي وأحمد وأبو داود وابن أبي عاصم والطحاوي والبيهقي بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي. أقِرُّوا: لا تحرّكوها.

١٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن التمثيل بالبهائم، ولعنه ﷺ من يفعل ذلك أيضاً.

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله من مثَّل بالبهائم». رواه البخاري - تعليقاً - وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والدارمي والنسائي في آخرين، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ على ناسٍ وهم يرمون كبشاً بالنبل. فكره ذلك، وقال: «لا تُمثِّلوا بالبهائم». رواه النسائي بإسناد صحيح.

١٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن صبر الحيوانات، وإتخاذها غرضاً، ولعنه ﷺ من يفعل ذلك، لأنه يعذِّب ذوات الأرواح من مخلوقات الله تعالى.

صبر الحيوانات: إتخاذها غرضاً وهدفاً.

فعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال : مرَّ ابنُ عُمَر - رضي الله تعالى عنهما - بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً [دجاجةً] وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابنَ عُمَر تفرَّقوا. فقال ابنُ عُمَر: من فعل

هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله ﷺ لعن من اتَّخذ شيئاً فيه الرُّوحُ غرضاً. متفق عليه.

١٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: تحذيره ﷺ من قتل الحيوان المأكول اللحم بغير قصد أكله، لأنه سيحاسبه يوم القيامة.

فعن الشريد بن سُويد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل عصفوراً عبثاً، عجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة منه، يقول: يا ربّ، إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة». رواه أحمد والنسائي وابن أبي عاصم والطبراني، وصححه ابن حبان. وشاهده الحديث التالي.

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل عصفورةً فما فوقها بغير حقّها: سأله الله عز وجل عن قتلها» قيل: وما حقُّها يا رسول الله؟ قال: «يذبحُها فيأكلُها، ولا يقطعُ رأسَها فيرمي بها». رواه الشافعي والطيالسي والحميدي وأحمد والدارمي والنسائي وصححه الحاكم وأقره الذهبي. وشاهده الحديث السابق.

١٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أمره ﷺ بركوب الدّواب سالمة، أو تركها سالمة، ولا يتخذوها منابر أو كراسي يجلسون عليها.

فعن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «اركبوا هذه الدّوابَ سالمةً، أو ايتَدِعوها سالمةً، ولا تتخذوها كراسيَ». رواه أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي، وصححه الحاكم وابن خزيمة وأقره الذهبي. ايتَدِعوها: أي اتركوها.

١٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: حثُّه ﷺ على إعطاء الدواب حقها من الكلأ والسير، فإن سار في الخصب فليترك لها المجال في الرعي، وإن سار في الجدب فليسرع، حتى لا تنقطع لعدم وجود المرعى.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبلَ حظَّها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنَة [فأسرعوا عليها السيرَ] وبادروا بها نِقْيَها، وإذا عَرَّسْتُم فاجتنبوا الطريقَ، فإنها طُرُقُ الدَّوابِ، ومأوى الهوامِّ بالليل». رواه مسلم.

السَّنَة: الجدب. نِقْيَها: حافظوا على قوتها ونشاطها. عَرَّسْتُم: نزلتم في الليل.

١٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن لعن الدابة، وعدم موافقته أن ترافقهم دابَّةٌ ملعونة.

فعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأةٌ من الأنصار على ناقة، فضَجِرت فلعنتْها، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: «خذوا ما عليها، ودعوها، فإنها ملعونة».

قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس، ما يَعرض لها أحد. رواه مسلم.

١٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن لعن أو سب أو حرق ما كان سبباً في نفع المسلمين، فمن كان سبباً في ذلك فلا يجوز لعنه، كالدّيك الذي يوقظ للصلاة، فيقدِّم خدمةً جليلةً للمسلم.

فعن زيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا الدِّيكَ، فإنه يدعو إلى الصلاة». رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حُميد والنسائي وابن حبان والبغوي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً، فانطلق لحاجته، فجاء، وقد أحرق رجلٌ على قريةِ نملٍ - إما في شجرة، وإما في الأرض - فقال رسول الله ﷺ: «من فعل هذا؟» فقال رجلٌ من القوم: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «أطفئها، أطفئها».

زاد في رواية «إنه لا ينبغي أن يعذّب بالنار إلّا ربُّ النار». رواه الطيالسي وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي والطبراني والشاشي بإسناد صحيح.

٢٠ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن وسم وجه الدابة، لأن في ذلك تشويهاً لشكله، وشدةَ إيذاء له أيضاً.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن النبيَّ ﷺ مر عليه حمارٌ قد وُسم في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه». رواه مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: أما الوسمُ في الوجه فمنهيٌّ عنه بالإجماع للحديث،... وأما وسمُ غير الوجه من غير الآدمي: فجائزٌ بلا خلاف عندنا، لكن يستحب في نعم الزكاة والجزية، ولا يُستحب في غيرها، ولا ينهى عنه. اهـ.

٢١ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: نهيه ﷺ عن

التحريش بين البهائم، وتهييج بعضها على بعض، لأن في ذلك إيلاماً وإتعاباً لها.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم. رواه أبو داود والترمذي والطبراني والبيهقي.

٢٢ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: إخباره ﷺ عن القصاص يوم القيامة بين الحيوانات، بحيث يُقتص للشاة الجمّاء التي لا قرن لها من الشاة القرناء، التي نطحتها في الدنيا.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «لتُؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة، حتى يُقادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». رواه مسلم. الجلحاء: التي لا قرون لها. القرناء: التي لها قرون.

قال الشيخ: وهذا القصاص بالنسبة للحيوان هو قصاص مقابلة، لأنه لا تكليف عليها، فكيف إذا كان الظالم هو الإنسان المكلَّف المأمور بالعدل؟

٢٣ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أنه ﷺ إذا كان في السفر وصلّى الصبح: مشى على قدميه، ويترك الرواحل تمشي من غير ركوب عليها، لأنه أنشط لها، وأسهل عليها في الحركة.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا صلّى الغداة في السفر مشى. رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء بإسناد صحيح.

٢٤ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أنه ﷺ كان يكرم الخيل، فيمسح وجه الفرس، ويلوي ناصيته بأصبعه.

وعن عروة البارقي رضي الله تعالى عنه قال: رُئي النبيُّ ﷺ يمسح خدَّ فرسه،... رواه الطيالسي برجال ثقات.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النبيَّ ﷺ يمسح وجه فرسه بكُمِّه. رواه الحارث ورجاله ثقات.

٢٥ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: حثُّه ﷺ على الرفق بالسير بها، وتنشيطها بالحداء، حتى لا تمل، ولا تشعر بالتعب والإرهاق.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وغلامٌ أسود يقال له: أنجشة، يحدو. فقال له رسول الله ﷺ: «يا أنجشة، رُويدك، سوقاً بالقوارير». متفق عليه.

٢٦ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: إخباره ﷺ بعدم الركوب على البقرة، وأنها خلقت لغير الركوب.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاةَ الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: «بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها، فضربها [وفي رواية لهما: يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة] فقالت: إنّا لَم نُخلق لهذا، إنما خُلقنا للحرث».

فقال الناس: سبحان الله [تعجُّباً وفزعاً] بقرةٌ تكلَّمُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر». متفق عليه.

٢٧ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: أمره ﷺ بحدِّ الشَّفرة عند الذبح، لكن من غير أن تراه الدّابَّةُ، وإراحتها عند الذبح.

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتُهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبحَ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرته، فليرِح ذبيحته». رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على رجل واضعٍ رجلَه على صفحة شاة، وهو يُحِدُّ شفرتَه، وهي تلحظ إليه ببصرها. فقال النبيُّ ﷺ: «أفلا قبل هذا؟ تريد أن تُميتها موتتين».

وعند الحاكم: «أتريد أن تُميتَها موتات؟ هلّا حددتَ شفرتَك قبل أن تضجعَها». رواه الطبراني برجال الصحيح، وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي.

٢٨ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: ما تعلَّمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من فعله ﷺ بحيث إنهم إذا كانوا في سفر فإنهم يبدؤون بحل الرحال وتنزيل ما عليها قبل التنفل بالصلاة.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كنا إذا نزلنا منزلاً، لا نُسبّح حتى نُحِلَّ الرِّحال. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

لا نُسبّح: لا نصلي الضحى.

٢٩ - ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان: ما يحصل من الحيوانات، حيث إنها تشتكي إلى رسول الله ﷺ، سوء معاملة الناس.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فمررنا بشجرة فيها فرخا حمرة، فأخذناهما. قال: فجاءت الحمرةُ إلى رسول الله ﷺ - وهي تصيح - فقال النبيُّ ﷺ: «من فجع هذه بفرخيها؟» قال: فقلنا: نحن. قال: «فردوهما». رواه أبو داود والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

الباب الخامس عشر
رحمته ﷺ للخلق جميعاً يوم القيامة

لا أعلم في الأنبياء والرسل عليهم السلام من يداني رسول الله ﷺ أو يقاربه في رحمته بالخلق، وإذا كان قد ظهر ذلك في الدنيا، بما ذُكر من مظاهر رحمته ﷺ بالخلق، فإن أعظم ما يظهر به هذا الشرف في عموم هذه الرحمة: هو وقت الشفاعة العظمى، يوم القيامة يوم يجمع الله تعالى الأوَّلين والآخِرين، ويرون من الهول والشدة مع طول ذلك اليوم.

١ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أن الأنبياء الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كلهم يرغبون إليه يوم القيامة ليشفع للخلائق، فيستجيب ﷺ لهم، ويحقّق لهم مطلبهم.

فعن أُبيّ بن كعبٍ رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ في المسجد فدخل رجلٌ يصلي، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءةً سوى قراءةِ صاحبه، فلما قضينا الصلاةَ، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ودخل آخرُ فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسَّن النبيُّ ﷺ شأنَهما، فسَقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما قد غشيني: ضرب في صدري، ففضتُ عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً.

فقال لي: «يا أُبيُّ، أُرسل إليَّ: أن أقرأ القرآنَ على حرف، فرددتُ إليه: أن هوِّن على أُمتي، فردَّ إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه أن هوِّن على أمتي، فردَّ إليَّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردةٍ رددْتُكها مسألةٌ تسألنيها، فقلت: اللّهم اغفر لأمتي، اللّهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثةَ ليوم يرغبُ إليَّ الخلْقُ كلُّهم، حتى إبراهيم ﷺ». رواه مسلم.

٢ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أنه أوَّلُهم بعثاً يوم القيامة، ومعنى هذا أنه سيكون بمثابة الفَرَط لهم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأولُ من ينشق عنه القبرُ، وأولُ شافعٍ، وأولُ مشفَّع». رواه مسلم.

٣ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أن الأنبياء عليهم السلام قد أُخذ عليهم العهد بالإيمان به ﷺ ونصرته، وأقرّوا بذلك، وشهد الله تعالى عليهم به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١]

وعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا

سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحدٍ إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناسُ معي، حتى آتي باب الجنة، فأستفتح: فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحباً بمحمدٍ، فإذا رأيتُ ربي، خررتُ ساجداً أنظر إليه». رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي. وشواهده كثيرة ولله الحمد.

٤ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أنه ﷺ سيكون إمامَ الأنبياء عليهم السلام، وخطيبَهم، ولا شك أن من كان إمام قوم فإنه سيرفق بهم، ويرحمهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُهم خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا، وأنا شافعُهم إذا حُبسوا، وأنا مبشّرُهم إذا أيسوا، لواءُ الكرامة ومفاتيحُ الجنة ولواءُ الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ ولد آدم على ربي، يطوف عليَّ ألفُ خادم، كأنهم بَيضٌ مكنونٌ، أو لؤلؤٌ منثورٌ». رواه الترمذي وحسنه.

٥ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أنه ﷺ أولى بالأنبياء عليهم السلام من أممهم في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران:٦٨]

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينةَ، فوجد اليهودَ يصومون يومَ عاشوراءَ، فسُئِلوا عن ذلك، فقالوا: هذا اليومُ الذي أظهر اللهُ فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومُه تعظيماً له. فقال النبيُّ ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم».

وفي لفظ: «نحن أحقُّ وأولى بموسى منكم».

وفي لفظ: «أنا أولى بموسى منهم». متفق عليه.

وفي لفظ للبخاري: «أنتم أحق بموسى منهم».

٦ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أنه سيكون شهيداً للأنبياء على أممهم، وشاهداً للأنبياء على تأديتهم رسالاتهم.

قال الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء:٤١]

٧ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أنه سيكون مبشّرَ الناس إذا أيسوا يوم القيامة.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولُهم خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا، وأنا شافعُهم إذا حُبسوا، وأنا مُبشّرُهم إذا أيسوا ...». رواه الترمذي، وحسنه، والدارمي وأبو نعيم والبيهقي بأسانيد حسان.

٨ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أن الله تعالى يبعثه مقاماً محموداً، يحمده أهلُ الجمع كلُّهم، وهو الشفاعة العظمى للخلق.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩]

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كلُّ أمة تتبع نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه اللهُ المقامَ المحمودَ». رواه البخاري.

٩ - ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة: أن الأنبياء عليهم السلام سيتخلّون عن أممهم، فضلاً عن غيرهم. ولا يتقدم أحدٌ لطلب بدء الحساب إلّا هو ﷺ، فيُجيب الله تعالى طلبه، ويقبل شفاعته.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناسُ بعضهم إلى بعض.

فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذريتك. فيقول: لستُ لها [ولكن ائتوا نوحاً أولَ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض.

قال: فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربَّه منها] ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه خليل الله.

فيأتون إبراهيم، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بموسى ، فإنه كليم الله.

فيُؤتى موسى، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح الله.

فيُؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ.

فأُوتى، فأقول: أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن، يلهمنيه الله، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسَك، وقل يُسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع. فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي،...». الحديث بطوله، متفق عليه.

١٠ - فمن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة: أن الله عز وجل سيرضيه في أمته يوم القيامة، ولا يسوؤه، بخلاف ما يحصل للأمم السابقة.

قال الله تعالى له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥]

وعن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ...﴾ [إبراهيم:٣٦] الآية، وقال عيسى : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة:١١٨] فرفع يديه وقال: «اللّهم أمتي أمتي، فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسلْه: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال

الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنّا سنُرضِيك في أُمَّتِك ولا نسوؤك». رواه مسلم.

١١ - ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة: أن الله عز وجل جعله فرطاً لأمته، وهذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة.

وذلك لأن الله تعالى إذا أراد رحمةَ أمَّةٍ قبض نبيَّها قبلها، ليكون لها فرطاً، أما إذا أراد تعذيب أمَّة قبضها قبل نبيِّها، ليُقِرَّ عينَه بهلكتها.

فعن عقبَة بن عامرٍ رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً، فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني - والله - لأنظرُ إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني - والله - ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها». متفق عليه.

قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: قد أخبر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بأمرين: كونه فَرَطاً لهم يتقدمهم بعمل مصلحتهم. وشهيداً عليهم، يشهد عليهم بأعمالهم، فكأنه باقٍ فيهم لم يتقدمهم، بل يبقى بعدهم حتى يشهدَ بأعمال آخرهم، فجمع اللهُ تعالى له ما بين هاتين الصفتين اللتين تنافيان في حقِّ غيره.

فهو عليه الصلاة والسلام قائمٌ بأمرهم في الدّارَين، في حالتي حياتِه وموتِه ﷺ. اهـ.

وذلك بعرض الأعمال عليه ﷺ فيشهد بذلك، والله تعالى أعلم.

١٢ - ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة: اشتراطه ﷺ على ربه عز وجل؛ أن يجعل كلَّ دعوة دعا بها على أحد من أمته أو إذا سبَّ أحداً أو جلده أو آذاه، وهو غيرُ أهل لذلك حقيقة، أن يجعلها اللهُ سبحانه وتعالى له رحمة وزكاةً وصلاةً وقربةً يقرِّبه الله سبحانه وتعالى بها إليه يوم القيامة.

قال ﷺ: «اللّهم إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي عز وجل».

وفي رواية: «اللّهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخْلِفنِيه، فإنما أنا بشر، فأيّ المؤمنين آذيتُه، شتمتُه، لعنتُه، جلدتُه،...» [زاد في رواية: «دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل»] فاجعلها له صلاةً وزكاةً [ورحمةً] وقربةً تُقرِّبه بها إليك يوم القيامة». متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث السيدة عائشة وجابر وأنس رضي الله تعالى عنهم.

١٣ - ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة: شهادتُه ﷺ لأمته يوم القيامة، وهي نوعان

أ - شهادته ﷺ لها على أعمالها، لأنها خاتمةُ الأمم، ونبيها الحبيب ﷺ.

وعن عقبَة بن عامرٍ رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً، فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني -والله- لأنظرُ إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض،...» الحديث بطوله، متفق عليه.

ب - شهادته ﷺ لها عندما تشهد للأنبياء عليهم السلام على أممهم. وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام عندما يُسألون عن تبليغهم أممهم، تُنكر أمهم، ويقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فتكون هذه الأمة شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أممهم.

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمتُه: هل بلَّغكُم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: مَنْ شهودُك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيُجاء بكم، فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] رواه البخاري.

١٤ - ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة: تأخير دعوته الخاصة، لتكون شفاعة لأمته يوم القيامة، وهذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أُمَّتي لا يشرك بالله شيئاً». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

١٥ - ومن أهم مظاهر هذه الرحمة: شفاعاتُه ﷺ المتعدِّدةُ لأمته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ...فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسَك، سل تعطه، اشفع تشفَّع، فأرفع رأسي فأقول: يا ربِّ أمَّتي، أمَّتي. فيقال: يا محمد، أدخل الجنةَ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر - أو كما بين مكة وبُصرى». متفق عليه. هَجَر: البحرين والإحساء.

والشفاعات التي أكرم الله تعالى بها نبيه الكريم ﷺ ومنحها إياه كثيرة:

١. شفاعته ﷺ في إراحة الخلق جميعاً من هول الموقف.

٢. شفاعته ﷺ في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب.

٣. شفاعته ﷺ في إدخال قوم من هذه الأمة حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يُعذّبوا.

٤. شفاعته ﷺ في إخراج من أُدخل النار من عصاة هذه الأمة.

٥. شفاعته ﷺ في رفع درجات أقوام ممن دخلوا الجنة.

٦. شفاعته ﷺ فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، وهم أهل الأعراف في أرجح الأقوال، والله تعالى أعلم.

٧. شفاعته ﷺ في إدخال أمته الجنة قبل سائر الناس.

٨. شفاعته ﷺ فيمن قال: لا إله إلّا الله، ولم يعمل خيراً قط.

٩. شفاعته ﷺ لأهل المدينة المنورة خاصة، وهي نوعان بل ثلاثة: من صبر على لأوائها، ومن مات فيها، وهم أول من يشفع ﷺ لهم.

١٠. شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب، وهذه من خصائصه ﷺ.

١١. شفاعته ﷺ لأهل القبرين عندما غرز في كل قبر جزءاً من السعفة.

١٢. شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

١٣. شفاعة أمته ﷺ بعضهم في بعض.

وقال الشيخ: وهناك غيرها، لكن أقتصر على حديثين منها.

أ - شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب، مع أنه لم ينطق بالشهادتين.

لقد حرص رسول الله ﷺ أشد الحرص على إيمان أبي طالب، ولكن الهداية بيد الله تعالى، فلم ينطق بالشهادين عند موته، ومع هذا فإنه ﷺ لم يتخلّ عنه، وأكرم الله تعالى رسولَه الكريمَ ﷺ فقبل شفاعته فيه.

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله، هل نفعتَ أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضبُ لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». متفق عليه. ضحضاح من نار: خُفف عليه من عذاب النار.

ب - شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته.

إذا كان ﷺ يشفع لبعض أفراد هذه الأمة فيخفَّف عنهم العذاب، أو يدخلون الجنة بلا حساب، أو ترفع درجاتُهم في الجنة، أو ممن وجب لهم الخلود فلا يخلدون، أو لأهل الصغائر،... فإن هذا مع أهميته ومكانته وخطورته لكنه ليس كشفاعته ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأمة، إلا لمن وجب له الخلود في النار، والله تعالى أعلم.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». رواه أحمد والطيالسي، وصححه الترمذي.

تمّ بفضل الله تعالى ، ونسأله عزّ وجلّ أن يتغمّد فضيلة الشيخ خليل ملا خاطر العزّامي ويجزل المثوبة له

وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

{تنويه مهم}

أثناء مراجعة كتاب الشيخ رحمه الله «الرحمة المهداة» تبيّن لنا أنه كان دقيقاً بدرجة كبيرة في نقل الأحاديث وأسانيدها من كتب الحديث.

لذا فمن الأمانة العلمية التنويه لمن أراد أن يستزيد في تخريج الأحاديث التي ذكرت في مختصرنا هذا عليه مراجعة الكتاب الأصل «الرحمة المهداة» حتى يتبيّن له تخريج كل الأحاديث التي تم نقلها من الكتب التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

نسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد.

الفهرس

مقدمة	٣
الباب الأول رحمته ﷺ للعالمين	٥
الباب الثاني رحمته ﷺ بأمته في الدنيا	٩
الباب الثالث رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم	١٩
الباب الرابع رحمته ﷺ بالمخطئين والمخالفين من أمته في الدنيا	٢٩
الباب الخامس رحمته ﷺ بالأعراب والجهال	٣٩
الباب السادس رحمته ﷺ بالنساء	٤٧
الباب السابع رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن	٥٧
الباب الثامن رحمته ﷺ بالأطفال والصغار	٦٩
الباب التاسع رحمته ﷺ بالأرامل والأيتام	٧٩
الباب العاشر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء والخدم	٨٩
الباب الحادي عشر رحمته ﷺ بالضعفاء والفقراء والمساكين	٩٩
الباب الثاني عشر رحمته ﷺ بالمرضى والأموات	١١١
الباب الثالث عشر رحمته ﷺ بالكفار والأعداء في الدنيا	١١٩
الباب الرابع عشر رحمته ﷺ بالحيوان	١٣٣
الباب الخامس عشر رحمته ﷺ للخلق جميعاً يوم القيامة	١٤٣
تنويه مهم	١٥٢

دعوة لزيارة موقعنا الإلكتروني العلمي

المستنير

Almostaneer.com

للاطلاع على أحدث إصداراتنا العلمية

والمتاحة الكترونياً على منصة

«الأبل ستور »

«يوم في حياة محمد»

«فضائل الصلاة على رسول الله»

«يا رسول الله،، أوصني»

إعداد موقع المستنير
الكويت
١٤٤٦-٢٠٢٥
Almostsneer.com
Kuwait
1446 - 2025